روايات عبير

الأحاسيس الدامية

www.elromancia.com

مرمورية

No. 012

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

الأحاسيس الدامية

كانت آنى تتأمل كريس ممددا على سجادة من الأزهار الزرقاء.
تعلم لماذا، ولكنها كانت تشك فى أنه أستاذ آداب كما يدعى. كما حاولت الخوض فى أعماقه، لعلها تجد اجابات شافية عن تساؤلاتها العديدة: من هو؟ ولماذا استأجر منزلها بالذات، وهل يستحق الحب؟!

I.S.B.N. 977-5346-72-X

9789775346728

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	٥ر١ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	٥ر١ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 0101517873

No.004

روايات عبير

الأحاسيس الدامية

www.elromancia.com

بيني جوردان

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الفصل الأول

«ازدحام وعرقلة سير عند (بوابة الجسر الذهبية). استرخوا فى منازلكم وابقوا بجانب المذياع بانتظار ما ستبثه شبكات الـ KSFM».

إنه صوت قادم من المذياع. استمر المذيع فى حديثه بالقول: «والآن إلى نشرة الأحوال الجوية خلال عطلة نهاية الأسبوع حيث سيكون الطقس حارا ومشمساً رغم الغيوم الصباحية، الساعة الآن تشير إلى السادسة ودرجة الحرارة ٢٥ ْم فى سان فرانسيسكو».

- أوه، هذا يكفى... جملة تفوهت بها «آنى وايت» وهى تغلق المذياع.

ها هى«إيف» شريكتها فى المنزل واقفة على السلم تحاول تنظيف الجزء الأعلى من الزجاج بقطعة من القماش ملفوفة على عصا الكنس. فى حين تحاول «آنى» إبعاد أدوات التنظيف لتفتح طريقاً للسير، ثم مالبثت أن أمسكت بقدم صديقتها للفت نظرها وقالت:

- اسمعى، لقد فقدت خمسة آلاف فرنك.

- لقد أفزعتنى بحركتك تلك وكدت أسقط أرضاً.

نزلت« إيف» من على السلم ودخلت الصالون لتبحث عن الشال البنفسجى.

إنها «آنى» تنظر إلى أفضل صديقاتها بعين الحسد والغيرة وهى تبدو رائعة الجمال، رغم ارتدائها بنطالاً من الجينز وقميصاً رجالياً.

فشعرها المنسدل كالشلال على كتفيها ووجهها النضر المزين بعينين خضراوين وطولها الفارع وجمال جسدها، كل ذلك كان كافياً لظهور جمالها وروعتها.

نظرت «آنى» بتعاسة إلى جسدها المغطى بثوب رياضة رمادى اللون وإلى شعرها الأشقر المجعد. لم يعاملها الجميع دوماً على أنها فتاة كبيرة، رغم أنها لم تتجاوز السادسة والعشرين من العمر بعد؟ حسناً، لتقتنع بمصيرها وحياتها، فهى لا تشبه «إيف» إطلاقاً.

- ما هذا؟ أحس بنبضات قلبى تتسارع قليلاً. ترى هل من أنباء جديدة عن شارلى؟

- لا، إنها رسالة من تلك الشخصية الغامضة. فيلدس... ردت «آنى» وهى تعطى لها الورقة، ثم أردفت:

- اقرئى، فأنا قررت أخيراً تأجير منزل العمة «بيرتا».

هزت «إيف» رأسها وهى تقرأ:

- ربما هذا أفضل.

ردت «آنى» وهى تمسك بزجاجة العصير الموضوعة على المدفأة.

- لا أدرى لماذا.

جلست «آنى» إلى الأرض وبدأت تتأمل أصابع قدميها الخارجة من جوارب التنس الممزقة.

- فكرى جيداً، فأنت لم تؤجرى أبداً هذا المنزل، وقد مضى حتى الآن شهران على تسلمك رسالة لا أدرى من أين..

- من كونيكتيكوت.

- من أى مكان كان، فقد طلب إليك تأجيرها إلى أحد مجهول تماماً، إلى «فيلدس» هذا، الذى تجهلين حتى اسمه الأول.

- ربما لن يحدث ذلك على كل حال، فإن السعر هو سبب التراجع. لأننى طلبت سعراً عالياً فى ردى عليه.

- ومع ذلك فقد أخبرت المكتب العقارى أنك طلبت سعراً أقل مما هو متعارف عليه. ثم إنك بذلت أقصى جهدك للاتصال بجميع أفراد عائلتك وإعلامهم بعدم تمكنهم من استخدام المنزل هذا الصيف، وهو ما سيكلفك ثمناً «باهظاً» لفاتورة الهاتف، ثم ها أنت تتخذين قرارك بتأجير المنزل بعد أزمة ضمير حادة تعرضت لها.

- هذه هى حال حسابى فى البنك.

- أخيراً، ها هو هذا الشخص الضخم يكتب إليك فى الدقيقة الأخيرة معلناً أن ذلك المنزل لا يهمه أبداً، وأنه عثر على ما هو أفضل منه وبسعر أقل.

- هذا ليس كل شىء. فرسالتى وصلته متأخرة جداً بسبب البريد، مما دفعه - باعتباره مستعجلاً - للجوء إلى مكتب عقارى آخر استطاع أن يؤمن له فيللا أخرى على الشاطىء.

ردت «إيف» مؤكدة:

- أجزم أن «فيلدس» تلك امرأة. وليست من نوع الأشخاص الذين بالامكان إعطاؤهم منزلاً مدة ثلاثة أشهر. ترى كيف هى؟

- قالت فى إحدى رسائلها إنها استاذة وذات شخصية هادئة ومنظمة.

تفوهت «آنى» بكلماتها وتوجهت لارتشاف جرعة من كأس العصير ثم أردفت قائلة:

www.elromancia.com

– إنها علامة صحيحة. ولكن لم هى امرأة بالضرورة؟

– لأن الرجل لا يصف نفسه بهذه الدقة تخيلى وجود أستاذ هادىء ودقيق ومنظم فى منزلك بـ «انفيرنيس»، مصيبة!

– سأعمل طيلة فصل الصيف، ولن أطأ «انفيرنيس» بقدمى، كما أننى لن أسمح لك بتذكيرى أننى مدرسة وأنك لاتزالين مدرسة أيضاً.

– لكننا لسنا هادئتين ولا منظمتين.

– صحيح أنك لست أستاذة، فأنت ملازم شرطة بالطريقة التى تتعاملين فيها مع تلاميذك.

كانت «إيف» تعمل أستاذة تربية بدنية فى نفس المعهد الذى تدرّس فيه «آنى» العلوم الطبيعية والبيولوجية، حيث تم انتخاب ثلاثة من تلامذتها للاشتراك فى بطولات كرة السلة.

– صحيح إننى أعاملهن بقسوة، ولكننى أضمن بذلك حصولهن على معونات مادية تساعدهن على دخول الجامعة، التى لن يتمكن آباؤهن من دفع نفقاتها.

ردت «آنى»:

– طالباتى يستفدن جيداً. المشكلة ليست كذلك. فأنت معى وتعلمين أن الأستاذ لا يمكنه دفع إيجار منزل بمبلغ خمسة آلاف فرنك شهرياً، ومن المؤكد أن الرواتب لن تكون أعلى بكثير فى «كونيكتيكوت».

– تماماً. السيدة «فيلدس» تسمح بذلك تعلمين السبب، إنها فتاة مسنة ترتدى أحذية بلا كعب، وتايلورا من التويد، مما يوفر عليها دفع مبالغ طائلة سنوياً. بل إنها تقوم بغسل ملابسها بنفسها فى وعاء غسيل مصنوع من الألمنيوم. كما تلجأ كل عشر سنوات إلى قضاء

إجازتها على شاطىء البحر. وربما أن حرف «ك» يعنى اسم «كورنيليا».

– أنت على حق، ولكن هذا الأمر لا يهمنى.

– فكرى أنها ربما تهاجم منزلك، إنك لا تريدين حتماً أن تكونى المسئولة عن حادث موت.

– تشيرين إلى ملاحظة هامة.

– واقع الأمر أنك لا ترغبين بتأجير المنزل لها. تذكرى كلامك:

«لقد أوصت العمة «بيرتا» بهذا المنزل شرط تمكن أى فرد من أفراد العائلة الدخول إليه فى أى وقت شاء». هذا ما صرحت به: «آنى اليزابيث وايت» منذ حوالى شهرين.

– كان ذلك قبل إطلاعى على رفع الضرائب المحلية الخاصة بترميم الطريق وإصلاحه.

اتكأت الفتاة الشابة بذقنها على ركبتيها وحاولت إبعاد خصلة من شعرها عن وجهها وأردفت بالقول:

– علىّ أن أجد الوسيلة لكسب خمسة آلاف فرنك.

– هذا ما يقلقك... قالتها «إيف» وهى تربت على كتفيها.

– أجل، لا أريد الابتعاد عن هذا المنزل، حتى ولو لم أتمكن من دفع مصاريفه...

– لا تقلقى، أنا متأكدة تماماً من وجود وسيلة.. لم لا تطلبين مساعدة والديك؟

– أتمزحين إن إخوتى الثلاثة الذين لا يزالون طلاباً، يريدون الغذاء وتناول المعجنات فى هيوستن. أعلم تماماً أنه فى حال تكلمت معهم،

www.elromancia.com

سيرسلون لى المال حتى ولو تطلب منهم تضحية كبيرة. لا، إننى فتاة بالغة راشدة، علىّ تدبر أمورى بنفسى.

- يمكنك الانتساب إلى منتخب كرة السلة... قالتها «إيف» مازحة.

- أو العثور على عمل مساء. إن مطاعم الوجبات السريعة تطلب دوماً نادلات ذوات شهادات عالية. هيا لننتهى من عملنا.

- أجل، فأنا أريد الخروج هذا المساء.

- مع من؟ «فرانك» رجل البنك الممل، أم مع «بيل» لاعب البيسبول.

- لا أعلم حتى الآن. علىّ النظر إلى مفكرتى... قالتها «إيف» مبتسمة وأردفت بعدها:

- سأقوم بتنظيف سلمات الباب الخارجى، ربما يكون قد مضى مئة عام حتى الآن على عدم تنظيفها.

قالتها «إيف» وهى متوجهة إلى الباب الخارجى:

- لا تنسى الموقد يا سندريللا.

كان ذلك أكثر ما تكرهه «آنى»، لكنها مع ذلك جلست القرفصاء أمامه وبدأت بافراغ الرماد منه فى كيس القمامة.

أمر التشابه بينها وبين سندريللا كان وارداً. إذ اقتضى الأمر وجود أمير شاب جميل يساعدها على التخلص من هذا الوضع العائلى. فكرت «آنى»: يكفى أن يكون ثرياً. هناك شارلى، لكنه أبعد ما يكون عن الثراء، ثم هو الآن فى بوسطن وسيظل هناك عاماً كاملاً. ثم لا مجال لأن تطلبى منه خدمة، لأنه سيستغل الموقف - كما يفعل كل مرة - ليطلب منها الزواج. من المؤكد أن لا اعتراض فى نفسها عليه، بل تجده لطيفاً، ولكن هل هذا يكفى لتتزوجه؟

ما إن انتهت «آنى» من مسح قضبان الموقد، حتى بدأت باستخدام المكنسة وهى تأمل فى أن يساعدها صوت ضجيج هذه الآلة على عدم سماع صوت «إيف» الذى يصيح طرباً بواحدة من أغنيات البيتلز.

كانت «آنى» قد وصلت بمكنستها إلى زاوية السجادة، وبدأت بإطفاء الآلة، عندما سمعت صوتاً يناديها؟

- «آنى»، أنقذينى.. النجدة..

سارعت «آنى» إلى المدخل متوجهة إلى الباب، حيث بدت لها «إيف» للوهلة الأولى وهى تتشاجر مع رجل ضخم. ولكن ما إن تأملت ما يحدث تماماً حتى لاحظت أن «إيف» تُمسك قدم الرجل المجهول لتمنعه من الهروب، هنا أحست «آنى» بنفسها مترددة بين طلب النجدة من الشرطة وبين الامساك بيد صديقتها فى حين فوجئت بنفسها تنفجر ضاحكة.

ها هى قدم الرجل المرتدى بدلة فاتحة والمغطاة بالصابون تغوص فى الدلو، وهو يحاول إخراجها بمساعدة «إيف» ولكن دون جدوى، مع سيلان مياه الغسيل فى جميع أرجاء المكان. ما إن سمع الاثنان صوت ضحكة «آنى» حتى تسمرا فى مكانهما وأدارا جسديهما باتجاهها وصرخت «إيف» قائلة:

- الأمر لا يدعو للضحك افعلى شيئاً.

- لقد سبق وشاهدت مثل هذا المنظر فى فيلم «إخوة ماركس». قالتها «آنى» وهى تحاول بذل جهدها لاسترجاع هدوئها ثم اقتربت منهما لتفحص ما يحدث ولترى دلواً معدنياً بداخله حذاء أسود اللون:

- «إيف» امسكى الدلو وأنا أسحب الرجل.

- لا، صرخ الرجل.

www.elromancia.com

جاءت صرخته متأخرة لأن ايد «آني» المتسخة كانت قد تركت آثاراً وغباراً على الحرير الرمادي لبدلته.

- دعيني أفعل ذلك.

نفذت «آني» عملها معتذرة.

أبعد الرجل قدمه وبدأ يفك حذاءه وانتزع قدمه منه.

ظلت «آني» تتأمله وهو يقف بدا طويل القامة مفتول العضلات أسود الشعر، أزرق العينين.

نظرت «آني» إلى «إيف»، صديقتها التي بدأت تتفحص ذلك الرجل المجهول وكأنها صياد يتأمل فريسته.

- هل تتكرمين وتعطيني منشفة؟

سألها ذلك المجهول وهو يتكلم بهدوء، خشية أن لا تفهمه.

- بالتأكيد... ردت بها «إيف» متأخرة وهي تمسك بذراعه وتقوده إلى الدخل.

أخذت «آني» تجفف الأرض وترتب الأغراض، عندما خطرت ببالها فكرة فظيعة أثارت القشعريرة في جسدها، إذ من الجنون في مدينة مثل سان فرانسيسكو ترك رجل مجهول يدخل المنزل، وأي رجل... جذاب ووسيم. فـ «إيف» كبرت وترعرعت في منزل بقرية صغيرة حيث لا أحد من الناس يغلق بابه، وهي بحاجة دائمة إلى تذكيرها بقواعد وأسس الحذر.

أنصتت «آني» بأذنيها إلى الصالون لتفاجأ بعدم صدور أي صوت من الشقة. مما جعلها تتوجه إلى ممر المنزل المؤدي إلى الغرف، وما إن

وصلت إلى المطبخ حتى سمعت صوتاً. إنها «إيف» تنظف البدلة. بادرتها إلى القول قلقة:

- أين هو؟

- إنه في الحمام. أليس جميلاً كالملاك؟.. قالتها «إيف» وهي تتنفس الصعداء.

- إنك تجهلين كل شيء عنه.

- لا تكوني سخيفة. إنه جذاب. انتبهي إلى بدلته ونوعيتها إنها من الحرير!

- إنها غلطتك وليست غلطتي. ماذا كان يفعل عند باب منزلنا؟ هو لم يكن مدعواً.

- بلى، أنا التي دعوته.

- لكنك لا تعرفينه.

- لا، لكنه أراد رؤيتك. اعطني المكواة.

- ماذا؟ إنني لم أره أبداً... قالتها آني باستغراب وأردفت:

- ربما يكون وكيلاً، أو أسوأ من ذلك! ربما يكون قد قرأ اسمي على صندوق البريد، «إيف» كم من المرات أخبرتك أن...

- سألني عن «آني وايت»، تذكرين أن الكنية غير موجودة على صندوق البريد، فأنت من أخبرني بعدم كتابتها. إنك دائمة الحذر.

نظرت «آني» إلى ما تحمله صديقتها وقد أصبح أشد سوءاً من قبل، حيث إن البقع لاتزال عليه.

- على كل حال، يجب تدبر الأمور معه.

- هذا ما أحاول عمله. ولكن ألا ترغبين فى إعطائه بدلته وحذاءه؟

- لم أفكر بهذا الأمر.

- انظرى... قالتها «إيف» بلهجة مرتبكة وأشارت إلى الاتيكيت الموجودة داخل البدلة وقد كُتب عليها. «ابيرنيتى» «سافيل روو» لندن - للسيد «ك فيلدس».

- هنا تدخلت «آنى بالقول:

- مستحيل «ك. فيلدس» امرأة.!

- عليك تصديق عدم صحة ذلك.

- لكنها بدلة باهظة الثمن. هل تعتقدين أن بامكان أستاذ أن يمتلك مثلها؟

- ربما يعمل مساء فى أحد مطاعم الوجبات السريعة... قالتها «إيف» ساخرة.

ردت «آنى» بصوت منخفض:

- إذن هذا هو الأمر الجذاب.. الذى سينقذ منزلى.

- ماذا؟

- لا، لا شىء، اعطنى إياه. سأحاول تنظيفه.

- لا، لاتزال يداك متسختين.

- حسناً، حسناً.

- دعينى أفعل ذلك بنفسى. اذهبى إلى الحديقة فربما يهدىء ذلك من روعك.

www.elromancia.com

توجهت «آنى» وقضيب الحديد الخاص بالمدفأة لايزال فى يدها إلى الجهة الخلفية للباب، وجلست على درجات السلم المؤدية إلى ما تسميه ـ بفخر وكبرياء ـ الحديقة. وواقع الأمر انها مساحة من الأرض الرملية لا تتجاوز عدة أمتار، تحاول دوماً أن تزرع فيها الأزهار وبعضاً من الخضار. كان المالك يرغب فى قدوم من يهتم بهذه الحديقة مجاناً وأن لا يستخدمها باقى المستأجرين. وهكذا استطاعت بعد أربع سنوات من العمل فيها ومن إضافة أكياس لا تحصى من التراب، الحصول على بعض النباتات من البندورة والخيار والشوكيات. جلست «آنى» على السلم وهى تسند رأسها بين يديها، لتتأمل المنازل الملكية القديمة من حولها. كان هذا المنظر عادة كفيلا ببث الراحة فى نفسها، ولكن يبدو اليوم كل شىء مختلفاً. وها هى تفقد للمرة الثانية الفرصة فى تأجير منزل العمة «بيرتا» وتبدأ - كعادتها عندما تكون متضايقة - باللعب بخصلات شعرها.

أخذ نظرها يتوجه إلى «حلزون» ينساب تاركاً وراءه خطاً على درجات السلم الخشبية. ومن المعروف أن الحلزونات تشكل المجموعة الأكثر كرهاً فى جميع أنحاء سان فرانسيسكو، لأنها السبب بقذارات عديدة تتواجد ضمن الحدائق.

- ماذا تطبخين؟ ستأكلين أزهارى؟.. تمتمت بها «آنى» وهى تتأمل الحلزون.

لم تستطع «آنى» رغم كل شىء كره تلك الكائنات خاصة وأنها تعشق الحيوانات منذ طفولتها. وكان والدها يأمل فى أن تصبح طبيبة لكنها لم تكن ترغب أبداً فى اتباع هذا الطريق وحجتها أنها لا تحب الدم. لكنها ورثت عن والدها حب التعليم والعلوم.

كان الحلزون قد وصل إلى نصف طريق التطور بين الفأر وبينها. وفكرت «آنى» فى أن تجعل من هذه الفكرة بحث عمل بالنسبة لتلاميذها. لِمَ لم تفكر بمثل هذا الموضوع سابقاً؟

فالحلزونات حيوانات أليفة ويعرفها الأطفال وقد سبق لـ «لويس توماس» أن كتب أجمل محاولاته عنها.

البدلة! «ك. فيلدس» نسيت كل ذلك. نهضت من مكانها وتوجهت إلى المطبخ لتجده فارغاً ثم جاءتها أصوات من الصالون مما دفعها لمد رأسها من الباب.

بدت غرفة الجلوس مريحة ومستعدة لاستقبال ضيوفها بحرارة من خلال ستائر الدانتيل بيضاء اللون التى تغطى الزجاج ووسائد الارائك المخملية الرائعة. والمجلات الفنية المرتبة على الرف السفلى للطاولة، ومن خلال تناسق اللونين البنى والأزرق للسجادة الشرقية وأقفال الأبواب البرونزية اللون. ثم تأتى نار المدفأة لتنعكس على الثريا المعلقة بالسقف وعلى الأثاث القديم الموزع فى جميع أنحاء الغرفة.

جلس «ك. فيلدس» إلى الكرسى أمام الموقد وقدماه عاريتان محاولاً الاستفادة من حرارة النار، فى حين مد الجوارب على القضبان لتجف، والجاكيت على الأريكة لتستمر «آنى» بمراقبة زوال أثر البقع عنه. ولحسن الحظ أن قميصه الأبيض لم يتعرض لأى أذى، ومع ذلك لم تستطع «آنى» منع نفسها من تأمل منكبيه العريضين وقد بدا وجهه جميلاً وصاحب جبهة عريضة وأنف جميل وذقن مدورة. ما إن نظر «فيلدس» إلى «إيف» حتى انفجر ضاحكاً كانت صديقتها جالسة على الأرض بمواجهته وهما يرتشفان العصير من كؤوس ورثتها «آنى» عن جدتها وها هى «إيف» - لأول مرة - لا تلجأ إلى فتح المذياع، وتفضل عنه وضع اسطوانة موسيقى كلاسيكية.

بدا المشهد مكتملاً تماماً، لدرجة أن «آنى» ظلت تخشى قطع الانسجام القائم. إذ من الواضح تماماً نجاح «إيف» فى الاعتذار عما حدث وعدم وجود فرصة أمامها لإضافة أية كلمة مما جعلها تتردد وهى تفكر فى أنه ربما كان - قبل كل شىء - لا يزال راغباً باستئجار المنزل. لذا استجمعت شجاعتها ودخلت الغرفة وهى تعلن قائلة:

- صباح الخير، أنا «آنى وايت».

هنا نهض السيد «ك. فيلدس» من مكانه وتوجه نحوها مصافحاً. واقتربت «آنى» من جهتها متناسية أنها لا تزال تحمل قضيب المدفأة فى يدها، مما جعلها تتمتم وهى تضعه أمام الموقد معتذرة. ومع ذلك فقد تسببت يدها اليسرى بإحداث أذى لمضيفها، ووجدت نفسها تقلب كأس العصير على قميصه الأبيض.

جاءت نظرتها إلى المرآة حينئذ لتعكس آثار العصير على وجهها وشعرها ولتوضح تعبير الغضب فى نظرات عينيه ولتفاجأ إلى جانبها بصورة السيد «فيلدس» وبقعة عصير كبيرة تغطى قميصه وهو جالس خلف «إيف» التى تعض على شفتيها خشية من الانفجار ضاحكة.

هنا رفعت «آنى» نظرها إلى السقف وتوجهت إلى صور الحواريين التى تزين جدران وسقف المكان مبتهلة.

الفصل الثانى

أخيراً ها هى «آنى» بعد عدة ساعات تبدو نظيفة الجسد من رأسها وحتى أسفل قدميها مرتدية روب النوم الزهرى محاولة بث الدفء فى قدميها من خلال شماطة مغطاة بالفرو. تمددت على الأريكة للراحة بعد أن غادرت «إيف» المنزل مع رجل البنك «فريد». كان قد مضى عليها ساعة كاملة وهى فى الحمام، تناولت بعدها صحناً من السلطة، وها هى الآن ترتشف فنجاناً من الشاى أثناء جلوسها ممددة قرب نار الموقد تتأملها وتتأمل أنوار المدينة.

لم تكن شقتهم تطل على المنظر العام للمدينة، كما هى الحال فى منزل «آنى» الذى ترعرعت فيه. فقد قام والدها باستئجار هذه الشقة لها منذ عامين، لاجبارها على ترك هيوستن. إلا أن المنظر كان رائعاً إذ بالامكان ـ رغم الضباب المخيم على الأبنية الشاهقة ـ رؤية أضواء المنازل وناطحات السحاب ومركز المدينة التى تضىء واجهتها وكأنها أشجار عيد الميلاد، خاصة كنيسة «سانت ـ مارى» الشامخة ببنائها الأبيض بين هرم وسط أمريكا الأزرق وبرج بنك أمريكا الأسود.

«يوم سبت أسود آخر»... هذا ما فكرت فيه «آنى» فهى لا تزال منذ رحيل «شارلى» تمضى الكثير من الليالى وحدها. ثم ما إن يقترب فصل الصيف حتى يبدأ العمل عندها، فى حين تكون «إيف» تتمتع

بإجازتها السنوية، مثلها مثل غالبية الناس فى تلك الفترة. حقيقة الأمر أن هذا الموضوع لا يقلقها أبداً، فهى تحب مهنتها وبحاجة دائمة إلى المال. إضافة إلى غياب جميع أقربائها هذا العام، كما لن يمضى ثلاثة أيام إلا وتبدأ امتحانات آخر السنة لتلاميذ المدرسة، يغادرون بعدها، بينما تأخذ «آنى» بالاعداد لسلسلة دروس جديدة.

تنفست «آنى» الصعداء وهى تضع قدميها على الطاولة وتمسك بأحد دفاتر الطلاب.

رن جرس الهاتف بعد أن صححت عشرة من الدفاتر فردت «آنى» بالقول:

- آلو؟

- صباح الخير!

- شارلى!، كيف حدث واتصلت بى؟، كم الساعة الآن فى بوسطن؟

- الواحدة صباحاً.

- انتهيت للتو من قطع عضو إنسان، كانت عملية جراحية رائعة.

- طريقة ساخرة للحديث عن قطع عضو إنسان.

- الدكتور «بارتليت» هو الذى يتحدث بهذه الطريقة، فهو يتكلم عن الاضلاع وكأنها عمليات تنفذ فى المطبخ، بنكرياس لذيذة وكبد مبهر...

- أمر مخجل، من هو الدكتور بارتليت؟

- رئيس قسم الجراحة. سأذهب للعمل فى قسمه العام القادم، فى حال سارت الأمور على ما يرام، كيف هى الأحوال فى مدينتنا القديمة الجميلة؟ أنت لوحدك؟

- أجل وكل شىء على ما يرام. قمنا بتنظيف المنزل بأكمله، وقد

خرجت «إيف» من البيت وبقيت لوحدى أصحح وظائف التلاميذ فأنا دوما عاقلة ومخلصة كما ترى.

- آمل ذلك. هل من أخبار عن عائلتك؟

-أجل جميعهم بخير، سمعت أن درجة الحرارة فى «هيوستن» وصلت إلى ٣٥° م.

- أخبرى والدك أننى سعيد بسماع نصائحه بذهابى إلى الساحل الغربى. هنا أتعلم بشكل كبير وأقابل أشخاصًا من نوعيات مختلفة.

- سأنقل هذه الرسالة لوالدى.

- هل أجرت منزل «انفيرنيس»؟

- لا، ليس بعد، سيقوم أستاذ «كونيكتيكوت» بزيارته غداً، لكننى لا أتوقع أن يستأجره.

- لماذا؟

- لأنه من نوع الأشخاص المترددين بين فيللتين.

- فهمت، واقع الأمر أن للمكان خصوصية معينة. فأنا اعتدت عليه ولا أجد ما يماثله. على كل حال، أتمنى لك حظًا سعيداً!

- شكراً. لقد كدت أنسى أن بوبى سيكون هذا الصيف فى بوسطن.

- أخوك الصغير، لماذا؟

- قام بدراسة تدريبية عند أحد النواب حيث وصى به أحد أصدقائه من «كينغ كولاج» والنائب ـ على ما أعتقد - صديق والده. واقع الأمر أن فترة التدريب تلك ضرورية للحصول على دبلوم العلوم السياسية.

- هذا أفضل لـ «بوبى». دعيه يتصل بى.

- حسناً. خاصة وأن والدتى أخبرتنى إحساسه بالضياع، رغم عدم بوحه بهذا الأمر. فهو لم يبلغ بعد الثامنة عشرة من العمر.

- سأعامله وأهتم به وكأنه أخى الصغير، سأقوم معه بجولة فى أرجاء المدينة. فأنا على وشك الانتهاء من عملى وسيكون عندى - لأول مرة منذ ست سنوات - وقت فراغ. هل أنت مضطرة حقاً للعمل هذا الصيف؟

- أجل، لا يمكننى المجىء إلى بوسطن.

- اسمعى، أنا أكسب ما يكفينى من المال للعيش، حتى ولو لم أكن مليونيراً، لدى شقة جميلة، أعلم أنك تحبين بوسطن لأنها تشبه كثيراً سان فرانسيسكو لكن لم تنتظرين نهاية دراستى؟ الجميع ينتظرون زواجنا. لم لا نفاجئهم حالاً فأنا بحاجة إليك.

- ولكن شارلى، يجب مناقشة هذا الأمر وجهاً لوجه.

- إذن اركبى الطائرة حالاً وتعالى لنناقش الموضوع.

- لا أستطيع، كما أود التفكير...

- سأتركك الآن. هناك حالة طارئة. أحبك.

- وأنا أيضاً... ردت بها «آنى».

لكنه كان قد أقفل السماعة. وتمتمت آنى مفكرة: «أخيراً».

سألت «آنى»:

- سيد فيلدس، هل جئت من كاليفورنيا؟

بدا الطقس جميلاً والسماء صافية تماماً خالية من الغيوم، وذلك عكس ما جاء فى نشرة الأرصاد الجوية. كان «ك. فيلدس» قد استأجر سيارة، وها هما الآن فى طريقهما إلى «انفيرنيس».

www.elromancia.com

رد «فيلدس» وهو يتابع خط سير السيارات المتجهة إلى الجسر قائلاً:

- اسمى «كريستوفر». أجل لقد سبق وجئت إلى سان فرانسيسكو مرة أو مرتين.

- وهل تعرف «انفيرنيس»؟

- لا.

كان «فيلدس» اليوم يرتدى بنطالاً من الجينز وقميصاً أزرق اللون، ظلت «آنى» تراقبه بنظراتها، لتلاحظ أنه يزداد شباباً، ويبدو خجولاً أكثر من ليلة أمس.

- ترى ما الذى خطر فى بالك لتمضى العطلة فى هذه المنطقة؟

سألته «آنى» بفضول.

- سمعت من يتحدث عن أن الشاطىء الشمالى رائع الجمال، وخاصة شاطىء «رأس رايس». نظرت إلى الخارطة لمعرفة موقع ذلك المكان.

- وكيف سمعت عن منزلى؟

- كما سبق وشرحت لك فى الرسالة. اتصلت بمكتب تأجير فى «كونيكتيكوت» له صلة بمكتب يماثله هنا، أخبره أن جميع المنازل هنا محجوزة، باستثناء منزلك. لم يكن قد تأكد بعد من تأجيره، لكنه لم يذكر وجود مستأجرين.

كان ذلك خطأ، ولكن لم تحس «آنى» بالضيق من مرافقة هذا الرجل. ترى هل كان ذلك بسبب ما حدث عشية البارحة؟

ومع ذلك، بدا «فيلدس» شديد اللطف والرقة، وهو يؤكد أن بامكان أى صاحب مصبغة تنظيف بقعة البدلة وأن القميص قديم لن يرتديه

بعد الآن. على كل حال، كان ذلك خطأه، هذا ما أكده «فيلدس» كما اعتذر أيضاً مفسراً عدم حصوله على رقم هاتفها. فالمنزل الذى زاره لم يكن يناسبه إطلاقاً، وقد قرر محاولة تجريب حظه أمام «آنى»، فى حال كان منزل «انفيرنيس» خالياً.

- لطف منك أن تتركينى أزور المنزل.

قالها «فيلدس» بلباقة.

لقد سبق لـ «آنى» أن وافقت طلبه زيارة المنزل بل واقترحت عليه مرافقته، لكنه رفض ربما لم يكن مقتنعاً بحسن قيادتها. هنا وجدت نفسها فضولية تجاهه، لذا استمرت فى سؤاله:

- غالباً تمضى إجازاتك على شاطىء البحر؟

- لا.

- الطقس لطيف، أليس كذلك؟

- أجل.

- أنت لست كما تصورتك.

- حقا... رد بها «فيلدس» بنبرة قطعت أية محادثة.

ها قد وصل الاثنان إلى بوابة الجسر الذهبية ومع وصولهما انقطع الحديث لأن على السائق منذ الآن التركيز تماماً لمواجهة رياح المحيط الهائجة والتى تصل سرعتها إلى ستين كيلو متراً فى الساعة، ولتجنب أى خطر يمكن أن يحدث بسبب حركة السير المزدحمة. فى حين بدا المارة منهمكين بشكل عام فى تأمل منظر الطبيعة والبحر الذى يبدو رائعاً هذا اليوم، من خلال الهالات الحمراء المزينة زرقة السماء كما

www.elromancia.com

عكست فتحة «سان فرانسيسكو» اخضراراً مخططاً بقبب بيضاء تتجول فى مياهها المراكب، ولا ننسى وجود بعض المغامرين فى عرض البحر من ركاب المراكب الشراعية. كان الطقس صحواً جداً لدرجة تمكنت معها «آنى» من رؤية جامعة كاليفورنيا التى أشارت نحوها بالقول:

- درست هناك.

- آه... قالها «فيلدس» وعاد بعدها إلى صمته.

لكنه لم يشر إطلاقاً إلى مكان دراسته. فهو لم تكن لديه الرغبة - على كل حال - فى الحديث عن نفسه. ترى لِمَ يبدو اليوم صامتاً رغم أن لسانه لم يتوقف عن الكلام عشيه البارحة. وتساءلت «آنى» فيما إذا كانت رغبته باستئجار المنزل لا يمكن قراءتها على وجهه. ونظرت إلى المرآة نظرة عابرة لتتأكد من حسن هندامها هذا الصباح، ومن خصلات شعرها المربوطة بشريط أصفر، ومن بنطالها الجينز الجديد والنظيف ومن كنزتها الكشمير الجميلة، ولتتأكد بعدها من وجود جميع الوسائل لديها. فى حين يبقى فقط - وكالعادة - عيناها الزرقاوان الواسعتان وذقنها المدوَّر ووجهها البيضوى الصغير محافظين على إعطائها عمراً أصغر من عمرها بعشرة أعوام لتبدو وكأنها فتاة مراهقة، وهو ما يدفع الناس عادة إلى الوثوق بها، بيد أن الوضع بدا مختلفاً مع «كريس فيلدس».

إن كل شىء من حوله بدأ مثيراً لشكوكها. فهو ليس بالثرى. إذن كيف بإمكان استاذ أن يدفع أجر فندق خمس نجوم؟، إن البطاقة المعلقة إلى الحقيبة تشير إلى المكان الذى أقام فيه، وهو أمر دقيق لم يخف على آنى ملاحظته. ثم كيف بإمكانه استئجار سيارة مرسيدس؟

كان الاثنان قد تركا طريق الأوتوستراد وبدآ باتباع طريق ثانوى

محاط بعدد من الفيللات الجميلة، والملاحظ عدم اهتمام «كريس» بالنظر إلى ما حوله والاكتفاء فقط بالاهتمام بالقيادة.

- ما المادة التى تدرسها؟... بادرته «آنى» بالسؤال قاطعة الصمت السائد.

- الانجليزية.

- لأى مستوى؟

- طلاب الصف الثالث؟

- ما اسم المعهد الذى تدرس فيه؟

- إنها مدرسة خاصة. ماذا لو نتحدث عن منزلك... قالها «فيلدس» دون أن يدع لها الفرصة لطرح سؤال آخر.

ترددت «آنى» قبل الرد. فهى إن حدثته عن المنزل الآن سيعود أدراجه فوراً.

- أمر صعب. إنه منزل كبير ومنعزل فـ «انفيرنيس» مكان ساحر.

- حدثينى عن تاريخه. متى كان بناؤه؟ إن جميع هذه التفاصيل تهمنى جداً.

بدا الطلب شديد الغرابة بالنسبة لـ «آنى» التى بادرت إلى القول:

- بنى هذا المنزل عام ١٨٨٠، وقد استخدم كجناح صيد. إذ قام مالكه السيد «المابر» بشراء الأرض لرجل يملك جميع أراضى رأس «رايس»، كان ذلك الشخص يريد تطوير مكان إقامة ليكون مقصد الأشخاص الأغنياء. هنا جاء أصحاب الطبقة العليا وبدأوا بغزو المكان، أمثال «باديرفيسكى» و«تيدى روزفلت».

www.elromancia.com

- وهل كان السيد «ماير» هذا مقرباً من «تيدى روزفلت»؟

- لا، ولكن هذا مَنْ يحبه. فهو قد جاء من «شيكاغو» جامعاً ثروة طائلة. قام ببناء المنزل واستخدمه فى فصول الصيف، ثم ما لبث مشروعه السكنى أن فشل، لصعوبة الدخول إلى ذلك المكان.

- وهل ينتمى السيد «ماير» إلى عائلتك؟ كيف انتقلت ملكية المنزل إليك؟

سألها ثم توقف عن الكلام عندما بدا له الطريق ضيقاً مليئاً بالانحناءات وشاحنة كبيرة تقف امامه تسد المكان. هنا تمتم «فيلدس» بالقول:

- يجب منع استخدام مثل هذه الآليات.

- قام السيد «ماير» بتقديم المنزل هدية إلي عمتى «بيرتا» دون معرفتنا السبب الحقيقى الكامن وراء هذه الهدية.

هنا نظر إليها «فيلدس» مستغرباً وكأنها المرة الأولى التى يراها فيها، نظر إليها بعينيه الزرقاوين للحظة كانت كافية لمعرفة كم هو جذاب. أمر فكرت به «آنى» وهى تدير رأسها إلى النافذة. ها هى سيارة قادمة من الاتجاه المقابل تجبرها على الانحناء والميل باتجاهه مطلقة صرخة خوف، فالطريق من ناحية أخرى محاط ببحيرة كبيرة.

ابتسم كريس وقال ملاحظاً:

- الطريق شديد التعرج والانحناءات.

أخيراً ها هى الشاحنة تقف جانباً تاركة خط السيارات الطويل خلفها يمر، مما دفع «كريس» لرفع يده للسائق شاكراً له حسن صنيعه.

الطريق الآن فى نزول، ثم متعرج صغير حملهما إلى غابة جميلة

تقع على الشاطىء حيث تتلاطم الأمواج. وامتدت أمامهما بقعة خضراء تتقدم وسط المحيط دفعت «آنى» للصراخ مندهشة:

- إنها «رأس رايس» انظر إلى قمته لترى الفنار، و«انفيرنيس» تقع فى وسطه.

- أفضل لو تحدثيننى عن عمتك «بيرتا». فأنا لا يمكننى مشاهدة المنظر وتأمله أثناء القيادة. كيف حصلت على هذا المنزل من ملك مذابح شيكاغو؟

لقد نسيت «آنى» عدم معرفته الطريق.

- اعذرنى. فالعمة «بيرتا» هى عمة والدتى، وهى شخصية مخجلة فى عائلتنا. تعود فى نسبها إلى عائلة بورجوازية من سان فرانسيسكو، لم تتذوق أبداً أفراح الدانتيل والمطرزات، مثلها مثل فتيات جيلها فى تلك الفترة، كما أنها هربت مع فنان. مما دفع والديها للتخلى عنها، فذهبت إلى باريز حيث لم نعد نعرف عنها شيئاً وما آلت إليه خلال تلك الفترة. باستثناء أن ذلك الفنان تركها وأنها تسد رمق عيشها من عملها كموديل.

- من المؤكد أن الأمر كان صعباً.

- بالتأكيد. ولكن كان لها الكثير من العشاق من شخصيات مشهورة، منهم الرسامون وكبار الكُتّاب والمؤلفون، إذ ما لبثت أن صارت صاحبة صالون تستقبلهم فيه، فهى تعشق صدم الأشخاص، ترتدى ملابس كملابس الرجل وتدخن السيجار. كما أنها لم تتزوج أبداً، ولم تنجب أطفالاً عاشت عمراً طويلاً، حيث عاصرت الحربين العالميتين، ودفنت هناك.

- هل تعرفينها؟

www.elromancia.com

- لا، ولا حتى والدتى. يُذكر أن عائلتى تلقت حوالى عام ١٩٠٥ وبعد سنوات من الانقطاع مظروفاً بداخله مفتاح، إنه مفتاح منزل «انفيرنيس». فهى كانت قد قابلت السيد «الماير» بباريز وضمن ظروف غامضة، لتصبح مالكة لجناح الصيد ذلك. بدت الفكرة مسلية بالنسبة لها بالتمكن من الاعلان للعائلة التى تخلت عنها بالقول: «انظروا، اننى لست حقيرة ولا حقودة، يمكنكم استخدام هذا المنزل حتى عودتى». ثم لم تعد أبداً إنها .. انتبه!

ضغط «كريس» فجأة على دواسة الفرامل. إذ ها هو رجل يحرك رايته عند منعطف يطلب منهما الوقوف. فى حين بدت عدد من الآليات الثقيلة تحفر طريقاً جديداً وسط الجبل.

فى حين أن جزءاً من الطريق مسافته حوالى ٤٠٠ متر تم حفرها داخل المحيط. قام الرجل بتمرير سيارتين قادمتين بالاتجاه المعاكس، إذ أخذت السيارات تبطىء من حركتها عند هذا المنعطف.

فتحت «آنى» فمها للتحدث، ولكن أوقفها «كريس» بالتمتمة قائلاً:

- اصمتى إنها اصلاحات هل يحدث هذا كثيراً؟

- كل شتاء سيصل هذا الطريق إلى ساحل «اوريفون» فى مكسيكو ثم سيظل هناك قسم فى أعماق المحيط.

- لا شىء يبعث على الدهشة فى تنازل السيد «الماير» عن ذلك المنزل ها قد وصل الاثنان إلى مدينة «ستيننسون بيتش» الصغيرة، وبدأ «غريس».

يتغلغل بين مجموعات من الشباب يرتدون مايوهات السباحة وسط الشارع التجارى الوحيد الموجود فى البلد:

- ما هذا؟ لِمَ لا يذهبون للسباحة؟

- أولاً لأن المياه باردة جداً فى هذا المكان.

- لحسن الحظ أننى لا أريد السباحة هذا الصيف.

ثم ما لبث الاثنان أن خرجا من تلك المدينة الصغيرة، ليجدا أنفسيهما وسط منظر كاليفورنى الطابع، حيث سلسلة الهضاب الخضراء الجافة قليلاً من حرارة الصيف بادر «كريس» إلى فتح باب الكلام بالقول:

- هل استخدمت عائلتك ذلك المنزل، رغم الخجل الذى سببته لهم عمتك؟

- أعتقد أن أحداً لم تطأ قدمه المنزل لفترة من الزمن، ثم مالبث والدىّ أن اعتاد قضاء فصل الصيف فيه، وقد جئت إليه منذ كنت صغيرة مع إخوتى وأولاد عمى وأصدقائى.

- إذن لمن يعود المنزل الآن؟

- لى شخصياً. فقد كانت العمة «بيرتا» متحمسة للإناث، لذا تجد أنها اشترطت فى وصيتها عودة هذا المنزل إلى البنت الكبرى من جيلى ثم انتقاله إلى من تأتى بعدى. ويمنع على بيعه ، بل وقد تركت عمتى مبلغاً من المال للاعتناء به، لم يتبق منه شيئاً مع التضخم الاقتصادى الحالى. ها هى لوحة كبرى تواجهما وتدلهما على دخولهم منطقة الرأس، ضمن منطقة حدودية محمية. أشارت «آنى» لـ «كريس» للالتفات إلى يساره حيث ذروة جبل شاهقة: يرى أسفلها اسبطلاً أحمر اللون.

بادرت «آنى» إلى القول مفسرة:

www.elromancia.com

- غابات الحرس توجد بالخلف. لقد تم بناء الاسطبل على صدع «سانت اندريه إذ ما إن حدث زلزال عام ١٩٠٦ الذى هدم سان فرانسيسكو حتى تواجدت نصف بناء المدينة متحركاً باتجاه الشمال والنصف الآخر باتجاه الجنوب.

سألها «كريس» بلطافة:

- منزلك بعيد عن هنا؟

- لا، فقد تعرض للانهيار عام ١٩٠٦، لكن تم تدعيمه. المشكلة هى وجود زلازل ارضية مستمرة.

ساد الصمت بينهما فترة طويلة، حتى قطعه كريس بالهمس قائلاً:

- منعطفات، اصلاحات طرق وزلازل أرضية... نظرت إليه «آنى» مستغربة. لكنه لم يضحك أبداً وفكرت «آنى»: يا إلهى، أنا حمقاء!، ما حاجتى لحكاية جميع هذه القصص؟

ها هو الطريق يضيق من جديد، وبدأت رائحة الطين تدخل إلى السيارة إنها فتحة «تومال» الجميلة جداً التى تؤدى لمنظر طبيعى رائع حيث مراكب الصيد ترسو على الشاطىء.

- لا يمكن أن تكون هذه الرائحة سيئة دوماً.

- أعلم ذلك. إنها رائحة رطوبة البحر، فقد ترعرعت فى منطقة تقع على شاطىء البحر.

فجأة خطرت فكرة فى ذهن «آنى»، فقالت:

- ربما تكون باعتبارك استاذ آداب. قد سمعت من يتحدث عن العمة «بيرتا». فهى لم تكتف فقط بالتعرف على كبار الأدباء والمؤلفين،

بل إنها كتبت أيضاً كتاباً يحمل عنوان «الوردة»، وربما ستعثر على نسخة منه فى المنزل، من الصعب قراءتها إنها من نوع الشعر النثرى.

لم ينبس «كريس» ببنت شفة. إذ كان الاثنان قد وصلا إلى المدينة وبدأ النظر إلى عدد من الاكشاك الصغيرة المحيطة بالبازار وإلى محلات الطعام والمطاعم. ثم ها هو بناء أحمر وأبيض اللون كتب عليه كلمات «مملكة انفيرنيس».

- ها نحن قد وصلنا على ما أعتقد... قالها «كريس».

وافقته «آنى» الكلام، وجعلته يتحول إلى طريق آخر تحيط به الأشجار اجتاز الاثنان بالسيارة جسراً خشبياً، ليصلا إلى بناء يقطع عنده الطريق، مما دفع «كريس» إلى التوقف فجأة وهو يتساءل:

- ما هذا؟

- منزلى... قالتها «آنى» بجفاء.

- إنه مخيف... كلمة قالها «كريس» بعد فترة طويلة من الصمت.

الفصل الثالث

كان المنزل محاطاً بأشجار الصنوبر، ويتألف من طابقين. فى حين بدت الواجهة صفراء اللون واضحة التحول من اللون الأحمر الذى كان سائداً آنذلك إلى الأصفر، فى حين كانت جوانب السطح المقبب تعلو بشكل عمودى باتجاه السماء.

بادرت «آنى» إلى القول:

- يبدو ظاهرياً مشابهاً للمنزل الصينى «الباغود»، خاصة وأن أسلوب العمارة الصينية انتشر فى هذه المنطقة مع نهاية القرن الماضى على نطاق واسع. هل تريد التجول فى داخله؟

- أتساءل فيما إذا كان بالامكان ذلك... تفوه «فيلدس» بجملته وهو ينزل من السيارة وتنزل معه «آنى» لتستقبلهما رائحة أشجار الصنوبر الفواحة. ومنظر أحد فروع الشجر وهو ممدد على سطح البناء من الطرف الأول إلى الثانى. ظلت «آنى» تراقب «كريس» بنظراتها، الذى بدا مذهولاً بما يراه. وتقدم الاثنان باتجاه شرفة المنزل وسط الحشائش. لم تستطع «آنى » بادىء الأمر وضع المفتاح فى القفل، لكنها ما لبثت أن تمكنت من دفع ذلك الباب الأسود وفتحه، ذلك الباب الذى يطل مباشرة على غرفة واسعة يتصدرها موقد حجرى يعلوها رأس غزال معلق عليها قبعة لاعب بيسبول.

- لا أعلم من أين أتى هذا الرأس، فالمنطقة هنا تخلو من الغزلان لوحظ وجود سجادات مكسيكية وإلى جانبها جلود دببة تغطى أرض المنزل. فى حين بدا الأثاث خليطاً من الأعمال اليدوية ومن الأرائك القديمة فى حين توسط المكان ثريا ضخمة تدلت من السقف مصنوعة من دولاب عربة.

الحقيقة أن تلك كانت المرة الأولى التى تتحقق «آنى» فيها من تتالى ثلاثة أجيال على هذا المنزل. بدت درجات السلم مغطاة بكتب قديمة وجرائد مستعملة، إضافة إلى وجود مجلد من مجلة «جيو» مرمياً على الأرض. كانت كل قطعة أثاث مغطاة بقطع من الأصداف أو بنجوم البحر التى جمعها الأطفال على مر السنوات السابقة. أما البيانو القديم الخشبى المزين برسومات خضراء فقد اختفى تماماً لأسباب تجهلها، ثم ها هى كرة قدم منزوية فى احدى الزوايا والهواء مفرغ منها. فى حين تشاهد صورة صفراء اللون على احد الجدران تمثل ثلاثة رجال يقفون امام سيارة.

اطمأنت الفتاة الشابة فهذا المكان العائلى لا يزال يبدو حتى الآن حيوياً بالنسبة لها، ولكن ها هى تنظر إليه الآن نظرة جديدة، وهى تعتقد أن لا أحد يرغب باستئجار هذا المنزل مما جعلها تجبر نفسها على المزاح والقول:

- سيعتاد عليه المرء حتماً.

- أجل هيا لنرى باقى المنزل.

قادته «آنى» إلى المطبخ الواسع، المؤثث بفرن نحاس قديم وبراد يعود - على الأقل - إلى فترة الحرب العالمية. فى حين وجد ضمن غرفة الطعام طاولة كبيرة تتسع لعشرين شخصاً. وتحولت غرف

الخدم إلى غرف مهملات، حيث تكدست صنانير الصيد وأدوات الزراعة:

- أين الهاتف؟

- لا يوجد.

قالتها «آنى» وهما يصعدان إلى الطابق الأول من المنزل الذى يضم ست غرف وحمامًا، ثم الدرج المؤدى إلى المستودع.

- ماذا يوجد فى الطابق العلوى؟

ردت «آنى» مفكرة:

- مستودع العائلة الذى يضم دفاترى المدرسية وملابس قديمة وألعابًا وصورًا عائلية وآلة كاتبة قديمة. كان ذلك المكان من الأماكن المفضلة لدينا عندما كنا فى العاشرة من العمر خاصة فترة بعد الظهر.

أخذ «كريس» يتفحص الحمام، راسماً الابتسامة على وجهه وهو يلاحظ وجود مغطس حديدى ضخم يرتفع على أربعة أقدام مزخرفة.

- سنحاول وضع دوش.

لم يعلق «كريس» أبداً على كلامها واكتفى بالقاء نظرة على كل غرفة صيفية، حتى صادق رفض الباب الأخير فى الفتح.

- ما هذا؟

- غرفة العمة بيرتا.

- كنت أعتقد أنه لم تطأ قدماها هذا المنزل أبداً.

- لم يحدث ذلك فعلياً، ولكنها أرسلت صناديق أرادت حفظها فهى كانت تنوى العودة حقاً.

- وهل احتفظتم بها جميعاً؟.. قالها «كريس» محدقاً.

شعرت «آنى» بالضيق من نظرة القلق فى عينيه، خاصة وقد أحست بمحاولته إخفاء الحقيقة عنها.

- أجل. واقع الأمر أنها طلبت فى وصيتها حرق جميع أوراقها ولكن لم تتح الفرصة أمام أحد لعمل ذلك.

- مفهوم، ولكن كيف تأكدت من عدم وجود أشياء قيمة؟

- أوه، نحن نعلم عدم وجود مجوهرات وأنها لم تحتفظ إلا بأوراق كانت ترسلها بانتظام، ضمن علب كرتونية.

أومأ «كريس» برأسه وكأن الحديث لم يعجبه أبداً، أدار ظهره متوجهاً إلى الطابق الأرضى، حيث تبعته «آنى» وهى مقتنعة تماماً بعدم رغبته استئجار ذلك المنزل التعيس المتعب المنعزل الواسع جداً. من سيقطع الخشب لاشعال الموقد، ومن سيركب الهاتف؟.. و... و...

توقف «كريس» فجأة فى ممر المنزل أمام إحدى اللوحات المعلقة إلى الجدار. إنها لوحة زيتية تمثل صورة امرأة شابة شقراء اللون شعرها مرفوع إلى الأعلى ترتدى بنطالاً وقميصاً طويلاً. جعل الرسام واحدة من قدميها الصغيرتين المرتديتين حذاء أنيقاً مرفوعة إلى الكرسى، تحمل فى يدها سوطاً، وخلفها عدد كبير من حيوانات السيرك.

توجه «كريس» إليها بالسؤال قائلاً:

- هل هى عمتك؟

- أجل، أرسلتها قبل فترة من وفاتها، طبعاً لتتسبب بصدمة كبيرة لجميع أفراد العائلة. إنها لوحة ذات قيمة كبيرة، انظر إلى التوقيع عليها.

- «سانت كروا»... قرأها «كريس» وصفر صفرة إعجاب.

- رسام شاب.

- كم هى غريبة شخصية عمتك!

- ظلت دوماً لطيفة معى.

- ربما يتضح الشبه بينكما مع زيادة وزنك عدة كيلوغرامات.

- شكراً... ردت بها «آنى» دون التمييز فيما إذا كانت جملته مدحاً أم ذماً.

التفت «كريس» نحوها واضعاً يده على كتفها فى حين أنصتت «آنى» إلى اعتذاره بلباقة، وانتبهت إلى كلامه وهو يقدم اقتراحه قائلاً:

- هيا نتناول الغداء فى «انفيرنيس».

معنى ذلك أن الأمل لايزال موجوداً، وربما لم تفقد كل شىء حتى الآن.

سألها «كريس»:

- أتريدين قليلاً من العصير؟

رفضت «آنى» العصير بإماءة من رأسها.

- إذن، لنعد إلى طعامنا، لدى بعض الأسئلة سأطرحها عليك، وأنا متأكد تماماً من رغبتك أيضاً أخذ بعض المعلومات.

جلس الاثنان إلى واحدة من الطاولات الخشبية لمطعم «ديمترى» الذى يقدم بعضا من أطباق مطبخ أوروبا الوسطى. قام مدير المطعم نفسه بتقديم الطعام لهما، احتفالاً بزيارة «آنى» التى لم يرها منذ ثلاثة أشهر.

كانت الفتاة الشابة تعرف مدير المطعم منذ طفولتها. لهذا لم تجد

ما يصدمها بقيام ارستقراطى مسن هنغارى وفارس تغطى بدلته الميداليات الأولمبية، مدير مطعم أنيق يقع فى قرية بعيدة بالمقابل فوجى، كريس وهو يلاحظ هذا الاهتمام وبالتحف المعلقة إلى الجدران وصور «ديمترى» تحيط بها.

- واقع الأمر، عندى سؤال واحد فقط، علىّ العمل طيلة فترة الصيف من أجل تنفيذ... مشروع هام. منزلك يناسبنى جداً شرط عدم تغيير ترتيبه. هل أنت متأكدة من عدم قدوم أى من أفراد عائلتك إليه أثناء فترة الاجازة؟

- لا. فأخوتى سيقضون فصل الصيف بالجامعة لانهاء دراستهم وقد قرر باقى أفراد عائلتى زيارة أوروبا، ووالدىّ يقطنان هيوستن منذ عامين.

- هيوستن؟

- والدي مصاب بمرض القلب ويعمل فى مركز أبحاث «ناسا». وهو مرتبط تماماً بعمله.

- وأنت؟ ألا تودين القدوم إلى هنا مع أصدقائك، أو صديقك؟

- ليس لدى... بدأت «آنى» بالرد. ثم توقفت فجأة وهى تفكر بـ «شارلى».

- هذا يعنى لا صديق عندى هذا الصيف، كما لدىّ دروس حتى بداية الدخول إلى المدرسة.

نظر إليها «كريس» بقلق وهو يردف قائلاً:

- ألن تغيرى رأيك؟

- لا... قالتها مؤكدة.

www.elromancia.com

ثم أشار «كريس» إلى ديمترى لاحضار الفاتورة وأخرج بطاقة التأمين للدفع.

- والآن جاء دورك. ماالذى تريدين معرفته عنى؟

«فكرت آنى: آه، أخيراً سأرضى فضولى».

- ما هو مشروعك؟

- انتظرى، لدى فكرة رائعة.

أخرج محفظة نقودة وسحب ورقتين منها وقدمهما لـ «آنى»:

- هذا يرد على تساؤلاتك.

أمسكت «آنى» الأوراق وبدأت بقراءتها. واحدة منهما عبارة عن شهادة مصرفية تشير إلى أنه زبون هام والأخرى عبارة عن رسالة من مالكة تؤكد على أنه كان أفضل مستأجر.

رفعت «آنى» رأسها وهى تحس بنفسها راغبة فى سؤاله، ولكن شيئاً ما منعها عن عمل ذلك، فهو قد لا يرغب بالكشف عن أسراره، ماذا ستطلب منه أيضاً؟ كل ما تبقى لا يهمها.

- يمكنك الاتصال بهما إذا أردت.

- أعتقد أن الأمر غير ضرورى.

- إذن اتفقنا.

- اتفقنا.

أمسك بدفتر الشيكات وكتب المبلغ وقدم لها ورقة الشيك قائلاً:

- عشرون ألف فرنك، ثلاثة اشهر إيجارا، وشهر مقدما، هل هذا يناسبك؟

لم تجرؤ «آنى» بادىء الأمر على لمس الشيك، خاصة أنها لم تتسلم هذا المبلغ من المال فى حياتها. لذا توجهت إليه بالقول خجلة:

- لست مضطراً للدفع مقدماً.

- إنه نوع من التوفير. فالبنك يأخذ فرنكين على الشيك... ردا «كريس» مبتسماً.

وأعاد بطاقة التأمين إلى جيبه بعد توقيع الورقة الخاصة بها، ثم نهض من مكانه قائلاً:

- هل أنت جاهزة؟

أحست «آنى» بالغثيان. ترى هل يعود السبب إلى شرب العصير، أم إلى رواية تلك الحكاية؟

أومأت برأسها موافقة وأمسكت حقيبتها بيدها ثم نهضت من مكانها.

قام السيد «ديمترى» بمرافقتهما حتى باب الخروج. وقام - كالعادة - بتقبيل يدها، ثم طبع بعدها قبلتين على وجنتيها.

- اخترت انساناً جيداً يا عزيزتى حافظى عليه... كلمات همس بها «ديمترى» فى أذنيها.

نظرت «آنى» حولها ولحسن الحظ أن «كريس» كان قد ابتعد عنها خطوات.

- أنت مخدوع ياديمترى. فهو سيقوم باستئجار منزل العمة بيرتا هذا الصيف. هذا كل ما فى الأمر.

- لاحظت جيداً نظراته إليك. إنكما ثنائى رائع.

- لا تكن سخيفاً... قالتها «آنى» وهى تغادر المكان. فى حين ظل

www.elromancia.com

ديمترى يلاحقها بنظراته عائدة إلى «كريس» وابتسامة فرح مرتسمة على وجهها.

كانت شمس فترة بعد الظهر تغطى المكان وخاصة السيارة، مما جعل «آنى» تستسلم للنوم بضع دقائق.

وما إن استيقظت حتى وجدت أنهما وقد وصلا إلى مدخل جسر البوابة الذهبية، وقد بدأ الضباب يغطى سماء المدينة.

آثرت «آنى» الحفاظ على الصمت والهدوء حتى توقفت السيارة أمام باب منزلها. توجهت إليه بالسؤال:

- متى تنوى الانتقال إليه؟

- غداً.

- أوه، مستحيل، على إجراء بعض الترتيبات أولاً.

- لا تقلقى، سأغيرها بنفسى.

- بمثل هذه الحالة، أخجل من...

- لا مشكلة فى هذا الأمر.

وهكذا لم يبق إلا إعطاؤه المفتاح، بعض التعليمات والاشارة لوجود كابينة هاتف عمومى بمواجهة البازار، يمكن استخدامها فى حال الطوارىء. ثم شكرته على الغداء ونزلت من السيارة التى سارت وهى تتبعها بنظراتها حتى اختفائها. ثم توجهت بعدها إلى الدرج لتصعده مسرعة، فتحت الباب وأخذت تصرخ:

- إيف، لا تتخيلى!

ولكن ها هى صديقتها قد تركت لها رسالة على البراد: «آن» لقد

غادرت المنزل، «إيف».

- سأبقى وحدى.

أخذت «آنى» تحضر فنجاناً كبيراً من القهوة، وتوجهت لغسل وجهها بالماء البارد، لتحس من جديد بالراحة. كانت تحس برغبة شديدة فى التحدث إلى أحد يعرف «ك. فيلدس»، وبضرورة الاتصال بـ «شارلى». لكنها آثرت الحذر لأنه سيتحدث إليها حتماً عن موضوع الزواج، وهى لا ترغب الآن الخوض فى هذا الموضوع.

انتقلت «آنى» إلى الحديقة للجلوس، حيث الضباب أكثر كثافة لدرجة لا يمكن معها رؤية النباتات المزروعة من حولها. وعقلها لايزال يفكر بتساؤل واحد. ماذا يدور فى ذهن «ك. فيلدس»؟

ما إن دخلت «آنى» إلى المنزل حاملة بعض الأغذية واللبن التى اشترتها من محل مجاور، حتى كانت قد توصلت إلى الرد قائلة:

- اسمعى «إيف»، لم يتحدث عن نشاطاته. فهو يدَّعى أنه أستاذ آداب فى إحدى المدارس الخاصة، مما يعنى أن راتبه أقل من راتبنا، ومع ذلك فهو يسير على كوم من الذهب، أخبرنى عن اهتمامه بالمنزل لأنه معزول ولثقته أن لا أحد سيضايقه. لقد أصرّ على هذه النقطة، وأنا مقتنعة تماماً أن هذا هو السبب فى دفعه الايجار مقدماً. مَنْ يرغب قضاء إجازته فى مثل هذا المنزل الواسع، غير المرتب وغير المريح؟

ربما هو ثرى بالوراثة يحب قطع الأشجار، خذى تذوقى... قدمت لها بعضاً من اللبن الذى أحضرته معه.

- شكراً لا أريد.

- إيف، إنك لا تفهميننى. لِمَ اشتهرُت فتحة تومال ورأسها خلال

www.elromancia.com روايات رومانسية

فترة الحظر؟

- لا أعلم. بسبب منظرها.

- من أجل قطاع الطرق.

- ولكن كانت تلك فترة متطورة.

- ما هى أهم مصادر كاليفورنيا الرئيسية؟

- زراعة الأرضى الشوكى. هل تلعبين «ترفيال» أم ماذا تفعلين؟

- إذن فأنت لم تقرئى الصحف أبداً. إنها «ماريجوانا» مادة تجلب الملايين، والأعشاب تنمو بشكل رئيسى وسط الجبال على امتداد الساحل الشمالى.

- تابعت ذلك. هل تشكين فى أن يكون المستأجر تاجر مخدرات؟

هل تعتقدين أنه يكسب أمواله بهذه الطريقة؟

- تماماً. ألست معى فى ذلك؟

نهضت «إيف» من مكانها ورمت باللبن فى سلة المهملات.

- لا، هذا عبث، على كل حال اللبن يغير الريجيم، ما رأيك بسندويتش زبدة؟

¿ ¿ ¿

الفصل الرابع

ها هى «آنى» يوم الجمعة التالى تجلس إلى طاولة طعام المطبخ مرتدية روب النوم، ترتشف فنجان قهوتها الثالث. كان لديها إجازة ثلاثة أيام قبل البدء بدروس الصيف، وتطمح للاستفادة منها وللتناوب عليها بين الراحة والعمل. بدت فى الأسبوع الماضى متعبة جداً من تصحيح الامتحانات الأخيرة. ولحسن الحظ أن الأمر انتهى بها إلى وضع سعرين مختلفين للدرس، والذى تمكنت «آني» خلاله من توصيل تلميذين للحصول على منحة دراسية لواحدة من أفضل الجامعات العلمية.

وقد اعتبرت «آنى» أنهما يستحقان المكافأة التى حصلا عليها، رغم اعتراف جميع تلاميذها بفضلها الكبير وسعيها لحصولهم على تلك المنح.

كانت «آنى» تحب مهنتها كثيرا، لوجود طالبين أو ثلاثة كل عام متحمسين لأى اكتشاف جديد.

ما إن فتحت صندوق البريد حتى وجدت فيه إعلاناً ثم نشرة تابعة لأحد الأحزاب السياسية، ومغلفاً كبيرًا كستناوى اللون كتب عليه بأحرف مشعة. ربما تكون قد ربحت مليون فرنك. ثم بطاقة معايدة وأخيراً رسالة.

أخذت «آنى» البطاقة، بعد أن رمت بالأوراق السابقة جانباً دون

www.elromancia.com

النظر إليها. البطاقة تصور منظراً عاماً لـ «ماتيرون». بدت متأكدة تماماً - قبل قراءة البطاقة ـ من أنها تعود لابنة عمها «كارين»، التي سرت كثيراً عند دعوتها لقضاء إجازة الصيف عندها.

أما الرسالة فكانت من «شارلي» وتضم عشر صفحات، وهي تحس بعدم الرغبة في فتحها، فهي تتخيل تماماً محتواها، ف «شارلي» مثله مثل ابنة عمها قريب منها وتحس دوماً بمعرفتها له بل وتتخيل ردات فعله. لا تفاجأ بأي شيء معه. فقد سكنت معه بنفس الشارع، حيث ترعرعا وعاشا طفولتهما معاً لدرجة أنها تعرف بوجود جرح في ركبته، أثناء نزولهما من على متن أحد أعمدة الجسور.

قرر شارلي عند رؤيته - منذ عشرين عاماً ـ والد «آني» يقطع الديك الرومي أن يصبح جراحاً. وهذا ما جعله طبيباً مقيماً في واحد من أفضل مشافي البلاد.

ظل الجميع بانتظار إعلان زواج الاثنين. فهما يشابهان بعضهما إلى حد كبير: شقراوان، ذوا بشرة نضرة ويتمتعان بلياقة عالية، تتألف عائلة كل منهما من أفراد عديدين لكن قد يكون ثمن هذا الارتباط تخلي «آني» عن التعليم للاهتمام بالأطفال والبقاء في المنزل.

ارتعشت «آني» هلعاً فقط لمجرد التفكير بهذا الأمر. فهي لا تريد التوقف عن التعليم والاكتفاء بحياة عادية روتينية مملة. باختصار انها لا تريد الزواج من «شارلي» لأنها تحلم بالارتباط برجل غامض قليلاً، برجل تعمل على اكتشافه.

واقع الأمر أنها تحس الآن برغبة شديدة للذهاب إلى «انفيرنيس» حالاً، حتى ولو بهدف معرفة نشاطات «ك. فيلدس» السرية، خاصة بعد يقينها من غرابة تفكير «إيف» ومن خيالها الواسع، ومن أن

«فيلدس» لا يمكن أن يكون تاجر مخدرات ومع ذلك عليها التأكد من الإنسان الذي سيقطن منزلها ولو من باب الفضول فقط، مبتعدة تماماً عن حقيقة أن «كريستوفر فيلدس» رجل جذاب ووسيم. ترى كيف بالامكان الوصول إلى هذه الحقيقة؟ فهو كان قد أصر كثيراً على رغبته بعدم تدخلها في إحداث أي تغيير في المنزل وبتلعثمه في الرد عليها عندما قالت:

ـ «صباح الخير، جئت لاكتشاف نشاطاتك السُرية».

«ليكن»... قالتها «آني» وهي تمسك بين يديها صحيفة نهاية الأسبوع وتفتح صفحاتها للوصول إلى صفحة التسلية، ولتجد فيها - كالعادة - الكثير من الأحداث الهامة التي تجرى في المدينة، ولتقرأ عن تنظيم الاوركسترا حفل عزف كونشيرتو «موتزارت» في الهواء الطلق ومجاناً، إضافة إلى وجود معرض «براك» في متحف الفن الحديث واحتفال في شارع و... و... إلخ.

- «إيف» لقد نسيت لوحة «سانت كروا»... قالتها «آني» فجأة مستغربة. كانت صديقتها لاتزال في الحمام، لذا لم تسمع السؤال ولم تتمكن من الرد. ارتدت «آني» بنطالها الجينز وكنزتها الصوفية وبدأت إعداد حقيبتها الخاصة بأغراض لعبة التنس.

سألتها «إيف» وهي خارجة من الحمام والمنشفة تلف جسدها:

- ماذا هناك؟

- لا أجد أغراضي الخاصة بلعبة التنس.

- لِمَ هذا الاستعجال.

- نسيت اللوحة.

- أية لوحة؟

- اللوحة التى تمثل صورة العمة «بيرتا».

- آه!.. قالتها «إيف» غير مبالية.

- إنها لوحة قيمة كان علىَّ إحضارها لكننى كنت متعبة جداً ونصف نائمة هذا ما جعلنى أنساها. لقد وعدت والدىَّ بالحفاظ عليها ووضعها فى مكان آمن حتى ولو أجرت المنزل.

ها هى «آنى» تعثر أخيراً على ملابس التنس الخاصة بها وأدواتها، جمعتها كلها وتوجهت إلى الحمام وهى تشتكى قائلة:

- أوه «إيف» لا استطيع رؤية شىء. هناك رذاذ مائى على الزجاج.

- هذا يعنى انك ستذهبين إلى «انفيرنيس»؟ هل تعتقدين حقاً أنه سرقها، أم أنها حجة فقط لزيارته؟

- لا. لا أشك أبداً أنه سرقها، ولكن علىَّ الوفاء بوعد، هذا كل ما فى الأمر... قالتها «آنى» وهى تمشط شعرها. وتنظر إلى صديقتها وأردفت بعدها:

- لا تنظرى إلىَّ هكذا سأذهب للبحث عن اللوحة ثم أعود يمكنك مرافقتى إن أردت.

- لا أستطيع. عندى درس فى القفز المظلى.

ما إن سمعت «آنى» كلماتها، حتى أرتمت فرشاة الشعر من يدها وردت عليها بالقول:

- مجنونة ألم تتحدثى معى بهذا الموضوع.

- كنت أعلم أن هذا ما سيكون عليه رد فعلك، لهذا...

ولكن آثرت الفتاة الشابة تأجيل الشرح لصديقتها إلى وقت آخر.

وها هى «آنى» تطير بسيارتها متوجهة إلى «انفيرنيس» مصممة على إعطاء رأيها بهذه الرياضة عند عودتها. شرط بقاء «إيف» حية على قيد الحياة.

ها هى سيارة تقف عند المخرج، مما دفعها للتوقف والنزول منها إلى الرصيف ثم الركض عدة كيلو مترات قبل اصطدامها بسيارتى شحن يحاولان التوقف. وها هما شابان من اليابان يحملان آلة تصوير وتمتمت «آنى» قائلة:

- حسناً، إنها عادة غريبة.

ما إن وصلت «آنى» منزل «انفيرنيس» بعد مرور ساعتين، حتى اكتشفت وجود سيارة مرسيدس فى الممر كان باب الدخول مفتوحاً على مصراعيه ولاحظت إزالة الأعشاب من المكان، وتجمع عدد من قطع الأخشاب المقطعة تحت الشرفة. أحست «آنى» بصمت الطيور مع اقترابها من المكان. ترددت بالدخول إلى منزلها. خاصة وان الصمت يسود المكان، حتى فى الداخل. توقفت فى مكانها فجأة على درجات السلم وهى تصرخ قائلة:

- صباح الخير.

رددتها عدة مرات، وهى تدخل رأسها إلى المنزل عبر باب دخوله لإلقاء نظرة على الجدار وهى تحس بقلبها بين أضلاعها يكاد يتوقف من الخفقان. لم تكن اللوحة فى مكانها بل تواجد شكل مستطيل أصفر اللون ومسمار يشيران إلى بقاء اللوحة فى هذا المكان فترة طويلة.

دخلت «آنى» غرفة الجلوس مسلحة بقليل من الشجاعة. كانت الرفوف مرتبة جداً، كل شىء فى مكانه، كما بدا الأثاث متوضعاً بطريقة أكثر واقعية.

www.elromancia.com

أخذت «آني» تفتش المطبخ وغرف الخدم وغرفة الطعام، دون أن تلاحظ وجود «سانت - كروا» أو «ك. فيلدس»، اتجهت بعد ذلك إلى صعود الدرج بسرعة وتفتيش جميع الغرف فى الطابق، حتى الحمام، لكنها عادت ونزلت دون العثور على أحد.

ما إن عادت «آنى» إلى الصالون حتى بدأت التفكير بما حولها. ترى هل يحصل على ثروته بتلك الطريقة؟ عن طريق سرقة كبرى اللوحات الفنية؟ مهما كان الأمر، فإن «فيلدس» لم يبتعد بعد كثيراً عن المكان، خاصة وأن سيارته لاتزال واقفة أمام المنزل. لذا ما كان منها إلا الجلوس إلى أحد الكراسى بعد أن قررت انتظاره.

ثم ماليث نظرها أن وقع على تمثال «أولمبيا» يتواجد إلى جانب قاموس ضخم، على طاولة صغيرة فى حين تكدست على السجادة مجموعة من أشرطة التسجيل.

نهضت «آنى» من مكانها وبدأت بتفحص عناوين الأشرطة: «ماهلر» و«فيفالدى» و«موتزارت» و«باخ» كلها لموسيقيين كلاسيك، وهو أمر لفت نظرها كثيراً كما لاحظت أيضاً وجود ورقة على الآلة الكاتبة لم ترغب أبداً - رغم شكوكها - بقراءة ماكتبه المستأجر.

ظلت «آنى» بحالة انتظار، مما جعلها تحس بالملل والضجر، دفعها إلى النظر بمجموعة الكتب المرتبة على الطاولة لتفاجأ بعناوينها: «الأسلحة الأوتوماتيكية» و«آلية معركة الحربية الأمريكية»، ومازاد الطين بلة عثورها على مجلة فتحت صفحاتها على إعلانات صغيرة كتب فيها: يؤجر خدماته. عمل منفرد. خبرة فى أمريكا الوسطى. اليكس. بريد كادسدين آلاباما.

ازدادت فتحة حدقتى عين «آني» وهى تتابع قراءة عامود المجلة: «بيع متفجرات مع طريقة الاستعمال... أسلحة المعركة المغلقة...».

كان عنوان المجلة كافيا بحد ذاته «جاسوس»، فى حين ظهر على الغلاف صورة أفغان يحملون أسلحتهم بين أيديهم.

غرقت «آنى» بأفكارها. إذن لهذا بدا «فيلدس» بمثل هذا الغموض. كل شىء يتضح أمامها الآن: بحثه عن مكان منعزل، دراسة دقيقة لخريطة المنطقة. ترى من هو هذا الانسان؟ هل هو جاسوس؟ أم إرهابى؟ كل ما حوله يشير إلى غموض واضح.

لا، أمر مستحيل. لم يكن «فيلدس» ليضع جميع وسائله واوراقه مبعثرة هكذا لو أنه حقاً جاسوس أو صانع قنابل. ولكن ترى ما سبب اهتمام أستاذ آداب بمثل هذه الأشياء؟ أليس من الخطر مواجهته؟ هنا قررت «آني» مغادرة المكان مباشرة وبشكل سرى متأسفة على حضورها.

لذا بدأت بإعادة الكتب والمجلة إلى ما كانت عليه وتوجهت نحو باب المنزل الرئيسى ونزلت درجات السلم.

ها هو «كريستوفر فيلدس» يقترب من المنزل مصفراً. أين بامكانها الاختباء؟ ولكن هذا لن ينفع، فهو بالتأكيد لاحظ وجود سيارتها أمام المنزل.

آثرت «آني» الوقوف عند الباب، دون أن تمنع نفسها من ملاحظة ازدياد سمرة «فيلدس» وجاذبيته ووسامته. وما إن رفع نظره نحوها حتى ازداد اضطرابها وانفعالها. رسم «فيلدس» على وجهه ابتسامة عريضة، وهو يلاحظ دهشتها.

- كم هى مفاجأة جميلة!، كنت على وشك الاتصال بك هاتفياً لأطلب إليك قضاء عطلة نهاية الأسبوع معاً.

- هل اتصلت بى؟

نزل «فيلدس» درجات السلم متوجهاً إلى الشرفة وقال وهو يمسك ذراعها:

- كنت أود الاعتذار إليك، لأننى مخطىء. هيا ادخلى. تراجعت «آنى» امام نظراته قائلة:

- لا شكراً، جئت لابحث عن لوحة، «سانت كروا» أين هى؟

- فى صندوق سيارتى، باعتباره المكان الوحيد الآمن. فأنا لا أرغب بتحمل مسؤولية غرض ثمين مثل هذه اللوحة. والحقيقة اننى تساءلت عن سبب تركك لها فى هذا المنزل.

تقدم «فيلدس» منها أثناء حديثه، لكنها عادت للتراجع من جديد وسألها:

- لتضعها فى سيارتك حالاً.

ومع ابتعادها عنه من جديد، فقدت «آنى» توازنها وكادت تسقط أرضاً، مما دفع «فيلدس» للاقتراب منها والامساك بذراعها وهو يقول مستغرباً تصرفها:

- انتبهى.

أبعدت «آني» ذراعها عن يده بحركة معاكسة، رغم إحساسها بالارتعاش من لمسه وبدأت تفكر فى أن هذا الانسان كان مجرماً بالتأكيد، وربما هو ذلك الذى قام بالقفز إلى سفارة الاتحاد السوفيتى، أو هو من زوّد أمريكا الوسطى بالأسلحة. فجأة، تنبهت «آنى» إلى انه ينظر إليها بعينيه الزرقاوين نظرة إخلاص وصدق.

- هل أنت على ما يرام؟

هنا سألته «آنى» بانزعاج:

- هل أنت إرهابى أم تاجر أسلحة؟

فوجئت مع سؤالها بتراجعه هو هذه المرة، فى حين استمرت بالقول:

- ماذا تفعل فى منزلى؟

قطّب «كريس» حاجبيه، ثم ما لبث أن قال مبتسماً:

- فهمت، ألقيت نظرة إلى مكتبتى؟

- ربما كان عليك عدم تركها هكذا.

- لا انتظر قدوم أحد لعندى. هل قرأت الورقة الموجودة داخل الآلة الكاتبة؟

- لا بالتأكيد.

- كان عليك قراءتها. فأنا استخدم جميع تلك الوثائق بهدف تأليف الكتاب الذى بدأت فيه. هل أنت جادة فى سؤالك؟ بصراحة هل أبدوا إرهابياً؟

هنا أحست «آنى» بالخجل والسعادة دفعة واحدة، فهى بحثت بأوراقه أثناء غيابه. وهكذا لم تجد أمامها للخروج من هذا الموقف إلا المزاح. لذا بادرت إلى القول:

- إذن أنت لا تأخذ رهائن؟

- هذا يعنى أنك جادة بكلامك؟

- ربما كنت تاجر أسلحة.

- لعلمك، فإن هؤلاء يمشون فى الطرقات وهم يحملون أسلحتهم ويركبون سيارات شاحنة لامرسيدس.

- وأنت ترتدى قميص لاكوست.

- أترين؟

- أنا آسفة جداً. فقد تركت الخيال يجتاح أفكارى كثيراً.

ابتسم «كريس» ابتسامة جذابة وهو يرد قائلاً:

- أرجوك إنها غلطتى. كان علىَّ التحدث معك عن نفسى. ما رأيك بتناول قليل من القهوة؟

أومأت «آنى» برأسها موافقة. إذ لم يبدو لها وجود أى مخاطرة، رغم أن هناك الكثير من النقاط الغامضة، مع ذلك فقد وثقت به بل وتركته يمسك ذراعها لينتقلا معاً إلى الصالون.

لم تعد تحس بالخوف إطلاقاً.

سألها «كريس»:

- كيف هى قهوتك؟

- دون حليب. هل بامكانى قراءة ما كتبت؟

- أجل. ولكن فى إعتقادى أنه لن يكون هذا من نوعية الأدب الذى يعجبك... قالها «كريس» وهو يتوجه إلى المطبخ.

أخذت «آنى» تقرأ الورقة الموجودة فى الآلة الكاتبة دون نزعها. «فكرتها الأخيرة قامت على أنه نسى شيئاً هاماً جداً كان يود فتح فمه ليخبرها الوصول إلى المركز ولكن جاءت ضربة على رأسه لتمنعه من ذلك..».

كانت الفتاة الشابة جالسة إلى أريكة جلدية قديمة تتنفس الصعداء، وتشير باصبعها إلى الآلة الكاتبة، عندما عاد «كريس» يحمل معه فنجانين من القهوة، سألته:

- ما هذا؟

- ما هو برأيك؟ ألم يسبق ورأيت مثل هذا؟

- أجل، روايات الجاسوسية التى يقرأها إخوتى.

- ألم تقرئين مثلها أبداً؟

- رواية أو اثنتين اثناء العطلة وعندما لا تقع يدى على أى كتاب آخر.

- وما رأيك؟

- أجدها مملة. تصويرية. العقدة فيها غير واضحة.

- توقعت أنها ليست من النوع الذى يعجبك.

- هل توثق عملك من هذه الكتب؟.. قالتها «آنى» مشيرة إلى مجموعة الكتب الموجودة على الطاولة.

- بعض منها.

- هل أنت حقاً استاذ آداب؟

- أجل.

هنا أنهت «آنى» قهوتها ووضعت الفنجان جانباً.

- أنت لست إرهابياً، المؤكد أن عقلك مختلف لهوايتك هذه فى كتابة مثل هذا النوع من الأدب وإحساسك بالسرور بتأليفها بيد أننى أدرك تماماً وجود قراء، إنها وسيلة انتشار.

- من أخبرك عن إحساسى بالسرور فى كتابتها؟

- لهذا السبب يكتب الناس، للتعبير عن أنفسهم، وأفكارهم وخيالهم...

قالت «آنى» كلماتها، ثم أردفت وهى تنهض من مكانها:

www.elromancia.com

- أخرج لى اللوحة من سيارتك - من فضلك - وأملى أن...

- ألم تتخيلى أبداً وجود أهداف أخرى ممكنة؟

- عددها لى.

- كسب المال مثلاً.

- حسناً، أتمنى لك الحظ السعيد. ولكن أذكّرك أن مثل هذه الكتب لاتباع عادة بأسعار باهظة.

تفوهت «آنى» بهذه الكلمات وهى تتجه إلى الباب الخارجى.

- الأمر يختلف هل سمعت عن «فاليريان»؟

- بالتأكيد، من لا يعرفه؟.. قالتها «آنى» وهى تلتفت نحوه.

- ماذا يفعل؟

- إنه كاتب روايات جاسوسية، قيّمة... أنا... هل أنت «فاليريان»؟

- أخشى ذلك.

- ولكن لا أحد يعرف هويته. يقوم أخى الصغير بجمع كتبه بل وشاهد فيلماً سينمائياً لإحدى رواياته ماذا كان اسمه؟

- رغم الخطر.

- تصور رآه سبع مرات، حتى هو يجهل من هو «فاليريان».

- القليل من الناس يعرفونه، باستثناء وكيل اعمالى والناشر وأمى وعدد من أصدقائي والآن أنت.

هنا نظرت إليه «آنى» مستغربة.

- انظر فى عينى. أخبرنى الحقيقة؟ هل أنت فاليريان حقاً؟

رفع يده ببطء، وهو يقول:

- أقسم...

بدا لها صادقاً، وهى مذهولة مما سمعت لكنها قررت تصديقه حتى لو كان الأمر يحتاج إلى العديد من المعلومات والاثباتات.

- حسناً، أصدقك.

- إذن، ستبقين؟

- شرط أن تشرح لى سبب حضورك إلى هنا، لِمَ لم تفصح عن هويتك، ثم لِمَ كتبت روايات جاسوسية و...؟!

- اتفقنا، سأرد على كل سؤال من تساؤلاتك فى حال بقيت هنا.

واقع الأمر أن «آنى» لم تكن ترغب أبداً بالذهاب.

- حسنا، لكننى أعتمد عليك وعلى وعدك فى قول الحقيقة.

- أجل سيدتى، ولكن هل بالامكان تناول الغداء أولاً؟ فأنا أكاد أتضور جوعاً؟

الفصل الخامس

- هل تعرفين بحيرة «باس»؟.. سألها كريس.

- إنها أحد الأماكن المفضلة عندي.

- قرأت فى دليل هذه المنطقة أن بالامكان السباحة فيها، وأظن أنه لاضرر فى ذلك.

- تماماً، ولكن هل تطرق الكتاب إلى كثرة تردد المختصين بعلم الطبيعة إليها؟

- لا، ولكن أظن ذلك. هيا لنحضّر سلة طعام ونذهب فى نزهة إلى هناك، حيث بالامكان شرح الأمور بشكل أفضل.

لم تتردد الفتاة الشابة لحظة أمام اقتراحه، خاصة وأن الطقس كان حاراً جداً وأن بامكان المرء الاحساس بالبرودة عند بحيرة «باس».

- سأذهب للبحث عن مايوه سباحة... قالتها «آنى» معلنة.

أخذ «كريس» يحضّر وجبة طعام بارد، أثناء قيام «آنى» بالبحث عن مايوه سباحة ومنشفة. ثم ما لبث الاثنان أن ركبا سيارة «آنى» وسارا وسط الطريق الضيق المؤدى إلى البحيرة أولاً بالسيارة ثم سيراً على الأقدام مسافة ما يقارب الكيلومترين. بادرت «آنى» إلى القول عند وصولهما:

- لنستفيد جيداً من المنظر، إذ ربما لن تتاح أمامك فرصة مشابهة خلال فصل الصيف، فالطقس غالباً ما يكون هنا ضبابياً لا يمكن معه رؤية أكثر من انفك، ولا تنس صوت الرياح القوية المستمر التى تعيقنا حتى عن فتح أعيننا.

بدا المنظر ساحراً بحق. فقد فقدت التلال والهضاب ـ خلال أسبوع واحد فقط ـ اخضرارها الربيعى وبدت ملتمعة تحت أشعة شمس الصيف، فى حين ظهرت الأزهار الشوكية ومن ثمَّ جاء نسيم البحر ليرطب الجو، وأخذت أمواج المحيط تداعب الصخور من حولهما، كما كادت زرقته فى الأفق تلتقى مع زرقة السماء. سار الاثنان بصمت للحظة وسط الهدوء السائد وصمت الطبيعة الخلابة من حولهما، حتى دفعها فضولها للقول متسائلة:

- ما هى عقدة روايتك وفكرتها؟

- سنتحدث عنها فوراً. لِمَ وجدت هذه الثقوب الصغيرة الغريبة؟

- للسنجاب الصغير.

- ما اسم هذه الأزهار؟ الصفراء؟

- إنها شقائق نعمان كاليفورنيا.

- إلى أين يؤدى ذلك الطريق المستقيم؟

- إلى البحيرة الخضراء.

- وهل هى خضراء؟

- لا، إنها مزرعة منعزلة. هل المال هو الهدف الوحيد من توجهك للكتابة؟

- اصبرى، اصبرى، كل شىء فى وقته. ما هذا؟

- إنه أسد البحر. حاول الاستفادة من هذا المكان فى كتابك؟

- بالتأكيد. من أين تأتى هذه الرائحة؟

- إنها البسَلة... ردت بها «آنى» متضايقة. ثم أردفت:

- من المفروض أن تكون أنت من يرد على اسئلتى.

- أحاول تفسير كل ما حولى كما يفعل أى كاتب يحترم نفسه. فى حال أننى أجبت على اسئلتك فإنك ستعودين.

- لماذا؟

- لأنه لا شىء مثير.

هنا انقطع حديثهما لأن الدرج المؤدى إلى أعلى التل قد انتهى، ليقفا فى القمة وينظر ا إلى سطح البحيرة الأخضر فى الأسفل وهو محاط بالحشائش الكثيفة.

نزل الاثنان من قمة الهضبة عبر طرقات متعرجة ليصلا فى نهاية المطاف إلى صخرة عريضة تقع عند شاطىء المياه وليجلسا فى ظلال شجرة ضخمة.

- تماماً... قالها كريس وهو يمد الشرشف ليجلسا عليه. ثم ما لبث أن أنزل الحقيبة من على ظهره وأخرج قطعة خبز وثلاثة أنواع من الجبنة وحلويات فرنسية وعنبًا ودراقًا. مما جعل «آنى» تبدى إعجابها.

- أوه!

- لم ينته الأمر بعد... قالها «كريس» مبتسماً وهو يخرج زجاجة عصير من الحقيبة، قائلاً وهو يضعها بالقرب من مياه البحر لتبرد.

- إنها دافئة قليلاً.

أخيراً أخرج «كريس» سكيناً وكوبين ملفوفين بقطع ورقية وتوجه إلى «آنى» بالسؤال:

- ماذا تفضلين للبداية جبنة سويسرية أم قطعة معجنات؟

- لِمَ يقوم أستاذ آداب بكتابة مثل هذا النوع من الروايات؟

أريد قطعة من الجبنة، بانتظار حصولى على الرد.

خلعت «آنى» حذاءها ووضعت قدميها فى الماء فى حين قام «كريس» بتقطيع قطعة من الخبز لعمل سندوتشات وإعطائها أحدها.

تذوق السندوتش الخاص به ثم تمدد مستنداً على كوعه.

- هيا، ما الذى تريدين معرفته؟ كيف بامكان أستاذ مسن مثلى كتابة قصص تدور مواضيعها حول الدم والجنس والاغتصاب؟

أليس كذلك؟

- ما الذى يثبت لى أن ما تقوله هو الحقيقة؟

- لقد قمت بتحضير وجبة الغداء، وهو أمر يدل على لطافتى.

أبلغ من العمر أربعاً وثلاثين عاماً. وهو عمر متقدم بالنسبة لـ...

- حسناً، حسناً، هل أنت أستاذ حقاً؟

- اعطنى أمثلة عن أسماء الفاعل والمفعول به. حاولى مقارنة بطل «موبى ديك» مع بطل «الشيخ والبحر» إلى ماذا أشار «تى. إس. إليوت» فى بداية كتابه....

- أصدقك، هذا يكفى.

- السؤال التالى... قالها «كريس» وهو يتناول قطعة الحلوى.

- باعتبار أنك ملم بالآداب، لِمَ لم تكتب كتباً فى هذا المجال؟

- لأننى لست كاتباً.

هنا حدقت «آنى» به مستغربة وهى تسأله:

- إذن، من كتب روايات «فاليريان» التى تتحدث عن الجاسوسية؟

- أنا، لكننى لست كاتباً فى الاطار الذي تتحدثين عنه. فأنا قادر على التحدث عن نموذج معين من المغامرات لنفس البطل دوماً، هذا كل ما فى الأمر. لا شيء لدىَّ أعبر عنه بشكل خاص، ثم اننى لا أحب الكتابة.

- إذن ....

- لقد ترعرعت وكبرت مفلساً فى «فول رايفر» إحدى مدن مساشوسيت، إنك حتى لا تعرفين مكان هذه المدينة؟

- بلى، انها مدينة «ليزى بوردين».

- أجل، ولكن بعيداً عنها، تعرف هذه المدينة بكثرة مصانع النسيج فيها. وقد اكتشفت فيها وجود مكتبة عمومية امضيت طفولتى ومراهقتي بالتردد عليها. كما تتلمذت على يد بروفسور ممتاز بالآداب. كنت طالباً مجتهداً أحلم بأن أصبح أستاذاً، بالكتابة عن «سوين بورن»، لكننى كنت - عكس جميع زملائى - فقيراً ومفلساً. كان بإمكانهم أن يصبحوا اساتذة وفنانين وثوريين مع احتفاظهم بسياراتهم الضخمة وبأماكن الإقامة الخاصة بالاستجمام. فى حين بقيت غير قادر على الذهاب إلى الجامعة، إضافة إلى عدم وجود من يتكفل بمصاريفى.

«هيا، لقد تزوج» فكرت بها «آنى» بخيبة أمل واضحة.

فى حين أردف «كريس» وكأنه يقرأ أفكارها قائلاً:

- «آنى» إذا كنت تريدين معرفة كل شىء، إنها حكاية طويلة أيضاً ربما أحدثك عنها فى أحد الأيام. باختصار، وجدت محلاً تجارياً أتاح لى المجال للحصول على ما يكفينى للعيش. كنت أسافر كثيراً فى إطار عملى، حتى جاء يوم قرأت فيه - وأنا بالطائرة - مقالاً فى إحدى المجلات يتحدث عن تطور روايات الجاسوسية. هنا جاءتنى الفكرة ماذا لو أمكننى الكتابة فى هذا الموضوع، ربما أكسب من خلالها ما يكفينى لاتمام دراستى والانفاق على نفسى.

- وأصبحت «فاليريان».

- الأمر ليس بهذه البساطة. أرسلت أول مؤلفاتى إلى عشرين دار نشر، رفضوا جميعاً طباعتها ونشرها بالقول إنها جيدة ولكن ليس إلى درجة الكمال، هنا بدأت اقرأ جميع روايات الجاسوسية، بحثت وأعدت كتابة مؤلفى والمحاولة من جديد، حتى تمت طباعته لكنه بيع بشكل سيىء. عندها لجأت إلى تحليل روايات الآخرين بعمق استفدت منها فى تأليف كتابى الثانى الذى بيع فى الأسواق على نطاق واسع ومعه كانت بداية ثروتى.

- هنا عاودت الدراسة وأصبحت أستاذاً.

أومأ «كريس» برأسه بالايجاب وهو يخرج زجاجة العصير من الماء.

- أصبحت باردة، هل تريدين كأساً؟

- أجل، ولكن لِمَ كل هذا الغموض من حولك؟ الا تريد أن تكون مشهوراً؟ أم أنك تخجل من مؤلفاتك؟

- لا هذا ولا ذلك.

فتح «كريس» الزجاجة بلباقة وقدم الكأس لـ «آني» التى عاودت سؤاله وهى ترتشف العصير:

- هل كنت تخشى فقدان عملك كأستاذ ؟

- لا، لكننى كنت أخشى أن لا ينصت طلابى لدروسى بانتباه وأن يبدأوا أسئلتهم عن كتابى الجديد. كما لم تكن لدي الرغبة فى الانتشار والشهرة. هل تذكرين «كونان دويل» البائس ذلك الذى اضطر لحمل لقب «شيرلوك هولمز» بسبب قرائه؟

ومع ذلك ألف كتباً أخرى بعيدة عن الروايات البوليسية، ولكن لا أحد يعرفها؟

تذوق «كريس» العصير والابتسامة مرتسمة على وجهه ثم قال معلقاً:

- هذا العصير الكاليفورنى سينافس العصير الفرنسى.

- ماذا ستفعل ببطلك الذى نسيت اسمه؟، هل ستقتله؟

- «جوشوا ايفرغرين». لا سأجعله يتقاعد لا تمكن من إخراجه من حالته الراهنة. ولكن أتمنى أن يكون هذا الأمر غير ضرورى. إذ سيتحدث الكتاب الذى أؤلفه حالياً عن مغامرته الثانية.

- يا إلهى، سيصاب إخوتى بخيبة أمل.

- لدى ما يكفينى من المال للعيش فى بحبوحة حتى آخر حياتى، كما أن عقدى مع دار النشر مستمر إذ لم يعد لدى أفكار جديدة ولا أستطيع أبداً تحمل «جوشوا ايفرغرين».

قال «كريس» كلماته وهو ينهض من مكانه، ثم أضاف:

- هيا للسباحة.

- جئنا إلى هنا لتناول طعامنا.

- حكايات جدتى. هذه البحيرة عميقة جداً.

لم تنبس «آنى» ببنت شفة لأنها كانت تتأمل جسم «كريس» وعضلاته وهو يخلع قميصه. ثم ما لبث أن أبعدت نظرها عنه عند خلع البنطال واكتفت بالنظر إلى طيور تتراقص على سطح الماء.

ولكن ما إن عادت ورفعت نظرها نحوه حتى تنبهت إلى أنه يرتدى مايوه البحر فبدأت تتأمله وابتسامة ساخرة ترتسم على وجهها، ثم ما لبث أن أحست باحمرار وجهها مع شعورها بالخجل وهو يسألها:

- ألن تأتى معى؟

- إننى لست سباحة ماهرة ولايزال لدى أسئلة أريد.... عبثاً راح كلامها فقد توجه «كريس» إلى المياه وسقط فيها، وها هو الآن أصبح وسط البحيرة. ثم عاد إلى الشاطىء قائلاً:

- هيا، المياه رائعة.

- لا شكراً. سأذهب إلى الشاطىء للتنزه.

لم تكن «آنى» مثلها مثل الكثير من صديقاتها بالسبَّاحة الماهرة.

فالمحيط شديد البرودة للسباحة، وهى لم تمارس السباحة إلا نادراً وفى المسبح.

- سأجيب على جميع تساؤلاتك فى حال لحقت بى.

هنا أخذت «آني» مايوه السباحة وتوجهت مباشرة لارتدائه خلف الأشجار. كان المايوه قطعة واحدة يعود إلى موديلات الأربعينيات، «لكنه أفضل من لا شىء»... قالتها «آنى» بعد أن اتخذت قرارها بخوض المغامرة.

لذا ما لبثت أن استجمعت شجاعتها وتقدمت عدة خطوات باتجاه «كريس» الذى مازحها قائلاً:

- أنا من كان يظن أن جميع بنات كاليفورنيا رياضيات.

- لتعلم أن المحيط من هنا وحتى لوس أنجلوس شديد البرودة. تمددت «آنى» على ظهرها وبدأت ضرب المياه بقدميها:

- والآن، أخبرنى لِمَ استأجرت منزلى؟

ابتلع «كريس» قليلاً من الماء فى فمه ثم أعاده. مما أرعب «آنى» وتساءلت فيما إذا كان على وشك الغثيان؟ إذا كان الأمر كذلك فلن يكون بإمكانها حمله إلى الشاطىء. لكنه عاد وتمدد وغطس فى المياه من أحد الأطراف ليخرج من الطرف الآخر معلناً لها:

- هناك خرق في المايوه، من الخلف.

عندئذ نزلت «آنى» إلى المياه لتفحصه ولتعثر حقاً على ثقب صغير جداً.

فى حين تابع «كريس» قوله:

- جسمك رائع. لم تخفيه تحت هذه الثياب؟

هنا آثرت «آنى» الابتعاد عنه قليلاً والرد بالقول وهى تغطس رأسها فى الماء:

- لأن الطقس دائم البرودة.

- لم ألاحظ ذلك.

- هذا الطقس غير عادى. كما انك لم ترد على سؤالى.

- أى سؤال؟

- المتعلق بمنزلى. لِمَ جئت من مكان بعيد لتأليف كتاب؟

- لأن الرواية تحدث فى كاليفورنيا، وأنا لا أعرف المنطقة بشكل جيد.

- تدور أحداثها فى «رأس رايس»؟.. قالتها آنى وهى تطأ بقدميها الصخرة.

- إنه مكان مناسب لقطاع الطرق.

هنا انفجرت الفتاة الشابة بالضحك وتزحلقت قدماها ثم فقدت توازنها.

و ما إن رفعت رأسها حتى سعلت وبصقت أحست بيدين تمسك قامتها وكريس يساعدها للوقوف على الصخرة قائلاً:

- انتبهى. ماذا قلت لتضحكى؟

- قطاع الطرق يلعبون دوراً هاماً؟

- أجل، لماذا؟

- وماذا سيسرقون؟

- الكوكايين والناس.

- لن تصدق «إيف» ما ستسمع. فقد تخيلت أنك تاجر مخدرات، هذا يعنى أننى لم أخدع كثيراً.

- حقاً فكرت بهذا الأمر! ولكن من أين جاءتك هذه الفكرة الغامضة؟

أعادت «آنى» عليه ما اقترحته أمام «إيف» فى المطبخ عندما بدا كل شىء مترابطاً أمامها: رجل واسع الثراء يعمل أستاذاً بسيطاً، بيت منعزل وغير مريح فى منطقة غير آهلة بالسكان.

- وهذا ما جعلك تأتين إلى «انفيرنيس» للتأكد من افتراضك؟

www.elromancia.com

- أجل، وقد وجدت أمر اللوحة بمثابة حجة.

- ثم افترضت أننى ارهابى. أهنئك، لديك خيال خصب، أنصحك بكتابة روايات.

- شكراً، سأخذ هذا الكلام على محمل الثناء.

- وأنا الذى كنت آمل أن يكون حضورك من أجل الحفاظ على مصلحتى، كنت أتصور أن لوحة «سانت - كروا» لم تكن إلا حجة.

عادت «آنى» للسقوط من جديد، لكنها قالت فى هذه المرة:

- سأخرج لوحدى.

بالفعل خرجت من الماء وعادت إلى صخرتها. ما إن اطمأن كريس عليها، حتى بدأ السباحة لمسافات طويلة وكأنه يحضر نفسه للألعاب الأولمبية.

كان الطقس رطباً فى الظل، حيث عادت الشابة لارتداء ملابسها، عند رجوعها اكتشفت خروج «كريس» من الماء وتبديله ملابسه هو أيضاً ووضعه العصير فى الكأسين.

- نخب نجاح مشروع قطاع الطرق والمهربين.

- لتعذرنى... قالتها «آنى» وهى ترفع كأسها عالياً.

- والآن لماذا...

لديك الحق فى طرح سؤال واحد فقط، اختارى سؤالك جيداً. قالها «كريس» محذراً والابتسامة ترتسم على شفتيه.

ترددت «آنى» لحظة وهى تتأمل البحيرة. فهناك الكثير من الأشياء التى ترغب بمعرفتها، لكنها تخشى أن تأخذ المحادثة مأخذاً خطيراً.

- تفكرين، هيا أخبرينى عن معنى الحياة أو سر الكون؟ لقد أخذت دروساً فى الفلسفة، تعلمين ذلك؟

تنفست «آنى» الصعداء وهى تسأله:

- هل حقاً ذهبت للاتصال بى هاتفياً من غرفة العموم، وإذا كان الأمر كذلك، فما السبب؟

- أنت بذلك تطرحين سؤالين.

- لا تكن سخيفاً.

- حسناً وجدت نفسى - كما سبق وأشرت - أننى تعاملت معك بشكل سيىء.

- أنت - على الأقل - لم تلوث ملابسى.

- تماماً، ولكن كان ذلك حادثاً عابراً، أتمنى أن يكون كذلك؟

- ليس تماماً. فـ «إيف» وأنا نفعل ذلك مع كل زائر. إنه نوع من الامتحان.

- وهل اجتزته بنجاح؟

- أجل، ونلت علامة عالية.

- أوه، هكذا إذن لنقل أننى وجدت أمر معالجة الحادث غريباً بعض الشىء.

- حقيقى أنك كنت ستستأجره.

- لم أكن متأكداً من استئجارى منزلك. لقد غيّرت رأيى عندما رويتما لى حكايته وعندما قمت بزيارته. فكم من الناس يمكنهم قضاء فصل الصيف فى احد المنازل الصينية وعلى سواحل كاليفورنيا؟

– أنا على سبيل المثال.

– أثارنى البيت، وهذا ما دفعنى للتأكيد والاصرار على عدم تغيير ترتيبه. كما أوجدت حلولاً فى حال رغبتك أو رغبة أحد أفراد العائلة بالمنزل. أنا لست أنانياً كما قد تظنين.

– إذن، كنت ستعتذر.

– وأراك فى ظروف أخرى مختلفة.

نظرت إليه «آنى» وهو يتأملها، ثم لاحظت اقترابه المفاجىء منها وملامسته ذراعها بيده. سألته بلهجة قلقة:

– أى نوع من الظروف؟

– حسناً، مثل اليوم – على سبيل المثال ـ أن نتنزه ونتحدث كأصدقاء وليس كمستأجر وصاحب ملك.

– لا أرى هذا الأمر من تلك الزاوية.

– اننى مازلت بحاجة إلى تقرير عن المنطقة، إلى من يعرف هذه الأماكن جيداً.

انفرجت أسارير «آنى» مع سماعها هذه الكلمات وبادرت إلى القول:

– هناك دليل تعرفه، كما يوجد رحلات منظمة و...

– لا، أعتمد بهذا الأمر عليك.

– لِمَ لم تتصل بـ «ديمترى»، فهو يعرف المنطقة بشكل جيد.

– أنت أجمل منه.

فتحت «آنى» فاهها للاعتراض لكنها فوجئت بإصبعه تغطى شفتيها وتأمرها بالصمت:

– اصمتى، انظرى إلى الطرف الآخر من البحيرة.

نظرت «آنى» كما طلب إليها كانت المياه تعكس أشعة الشمس كالمرآة، فى حين ترتفع على الطرف الآخر صخور جميلة وطيور رائعة.

– لا...

– على الصخور...

خيم قليل من الظلام عليهما بمرور أحد الطيور الكبيرة فوقهما. رفع «كريس» رأسه عالياً ليؤكد عدم وجود أى خطر.

تنفس الاثنان الصعداء. ها هو الطير يقترب من البحيرة ثم يهرب فاراً إلى إحدى الأشجار.

إنها سمكة تقفز من الماء لالتقاط إحدى الحشرات وترسم مع عودتها دوائر واسعة وسط الماء.

أحاط «كريس» كتفى «آنى» بذراعه مما جعلها تحس برعشة لذيذة..

– لو كنا حكماء لجاء الإله «بان» وعزف لنا على الناى.

أحست «آنى» بالسرور لهذا الكلام. فكل شىء ممكن وربما يحدث ذلك. ولكن ها هى خفقات قلبها تزداد وصوت يأتيها:

– تعالى تيلما...

قفزت «آنى» من مكانها فزعة لتلاحظ وجود شخص مسن ضخم أبيض الشعر.

– استعجلى ياتيلما وتدبرى أمرك.

جمع «كريس» و«آنى» حاجياتهما وغادرا المكان بهدوء.

ﹶ ﹶ ﹶ

www.romancia.com

الفصل السادس

كان يوماً غاية فى الروعة، قضاه «آنى» و«كريستوفر» معاً قبل أن يركبا السيارة عائدين ويبدآ السير وسط التلال وهما يستنشقان رائحة الأزهار والحشائش الجافة. أشارت «آنى» إلى الشاطىء الرملى الطويل العائد إلى أربعمائة سنة.

فى حين بدت قوارب الصيد الصغيرة رائعة بمنظرها من بعيد وبانتشارها على الشاطىء بشكل منسجم مع الأمواج.

كان من الصعب تأمل تلك المناظر والسير بالسيارة معاً.

هنا قررت «آنى» أن ترى «كريس» مدينة «بولبناس» الصغيرة والقريبة، والتى يرغب سكانها بالسرية التامة لدرجة قيامهم بانتزاع جميع لوحات وإشارات الطرق حتى لا تكون مدينتهم مفتوحة أمام الزوار. إلا أن تصرفهم هذا جاء بنتيجة عكسية لان فضول الناس الذين كانوا يمرون من هذه المدينة دفعهم لزيارتها ومعرفة سبب تصرف أهلها على هذا النحو. تلك المدينة التى أصبحت مرتعاً لإقامة الفنانين والفنانات فيها، يعيشون فيها أسلوب حياة الهيبيز فى الستينيات.

أخيراً قرر الاثنان العودة إلى المنزل، حيث أصر «كريس» على معرفة سبب وجود لوحة قيمة مثل «سانت ـ كروا» فى منزل مهجور

معظم أيام السنة، هنا ردت «آنى» مفسرة أن لا وجود لأى خطر فى «انفيرنيس» ولم تحدث أى سرقة حتى الآن.

طلبت منه «آنى» التوقف أمام بازار القرية لشراء الصحيفة المحلية اليومية. ثم توجه الاثنان إلى إحدى طاولات الرصيف للجلوس إليها وشربا فنجاناً من القهوة. فى حين فوجئت «آنى» بوجود الكثير من الزبائن يتناولون وجبة العشاء، رغم أن الشمس لاتزال فى السماء أى أن الوقت لم يحن بعد، ونسيت بدورها النظر إلى الساعة، خاصة مع انهماك «كريس» بقراءة الصحيفة بصوت مرتفع وهو يضحك:

- «امرأة تستدعى الشرطة لأنها وجدت باب منزلها مفتوحاً توجهت الشرطة إلى المنزل وأغلقته». و«تم استدعاء رجال الشرطة فى «رأس رايس» إلى أحد الحواجز. أكد المشتبه بهم قيامهم آنذاك بتنظيف السمك...» الآن فقط أدركت معنى كلامك... قالها «كريس» وهو يضع الصحيفة جانباً.

بدأ لون السماء يميل إلى الوردى، وأخذت فتحة «نومال» تتوه فى الظل، فى حين ازدادت سرعة الهواء. مما أقلق «آنى» التى بادرت إلى السؤال:

- كم الساعة؟

- قريبة من الثامنة... قالها «كريس» وهو ينظر إلى ساعته.

- غير ممكن.

- نحن الآن فى فصل الصيف النهار طويل.

- يجب أن أذهب إلى المنزل... قالتها وهى تنهض من مكانها، ثم أردفت بعدها:

- لا أحب قيادة السيارة ليلاً فى مثل هذا الطريق.. أنهى «كريس» فنجان قهوته وتبعها:

- ليس من المعقول أن تذهبى الآن. انظرى، الظلام بدأ يسدل استاره. ومن الأفضل لك البقاء هنا حتى الغد.

- لا استطيع، يجب أن أعود إلى منزلى.

- لماذا؟ هل من أحد ينتظرك؟ هل لديك موعد غداً صباحاً؟

- أوه، لا.

- إذن، من الحمق تعريض نفسك للخطر وهناك منزل لك على بعد مائتى متر فقط.

- لا أو... لا أود البقاء.

- أرجوك، هذا لا يضايقنى. سنذهب لشراء قطع لحم ونشويها وسط المدفأة وأنت تروين لى تاريخ هذه المنطقة.

ترددت الفتاة الشابة قليلاً فى قبول عرض «كريس» الذى قرأ أفكارها، فما كان منه إلا أن أردف بالقول:

- لا تخافى، فأنا رجل غاية فى اللطف.

هنا بدأت «آنى» البحث عن سبب معقول للاعتذار ولكن عبثًا، لذا وجدت نفسها توافق:

- موافقة. ولكن علىَّ إخبار «إيف» حتى لا تقلق.

أخذت «آنى» ـ مع دخولها غرفة هاتف العموم ـ البحث عن قطع نقدية ومازاد الأمر صعوبة انكسار اللمبة، مما جعلها لا ترى تماماً قرص الهاتف لطلب الرقم.

- آنى!. أين أنت؟.. سألتها «إيف».

- فى انفيرنيس، لن أعود إلى المنزل هذا المساء.

- ولكن أين تنامين؟

- فى المنزل.

- وحدك؟

- لا.

- آه، آه... قالتها صديقتها بلهجة ساخرة.

- فوجئت بهبوط الليل هنا ومن الصعب قيادة السيارة هذا كل ما فى الأمر.

- أعلم ذلك. هل أمضيت يوماً جميلاً مع المستأجر؟ هل سرق اللوحة؟

- لا تكونى سخيفة.

- هل اكتشفت نشاطاته السرية؟

- أجل.

- أراهن أنه ليس إلا تاجر مخدرات صدقينى.

- أوه، هذا يكفى.

- يا إلهى، عودى إلى المنزل حالاً إنك مجنونة!

- ولكن لا، ليس الأمر كذلك، سأروى لك ما حدث، يحتاج الموضوع لشرح مطوّل.

- حسناً.

www.elromancia.com

- كيف كان درس القفز المظلى؟

- لم يكن هناك هواء، لذا سأعود غداً.

- انتبهى لنفسك... قالتها «آني» ناصحة قبل أن تغلق السماعة.

- كدت أنسى، اتصل بك «شارلى»، أخبرته أن يتصل هذا المساء. بماذا أرد عليه؟

- قولى له الحقيقة.

بدأ «كريس» بتحضير شرائح اللحم، في حين كانت «آنى» تحضر طبق السلطة. التفتا بعدها إلى تسخين قطع صغيرة من الخبز وفتح زجاجة عصير، وأخيراً الجلوس إلى مائدة الطعام. كانت الحرارة المتصاعدة من فرن المطبخ تضفى جواً دافئاً على المكان، فى حين نشر لهيبه الاضاءة فى كل مكان.

بدت «آنى» متضورة جوعاً وهى تمسك بقطعة اللحم وتلتهمها بشهية. لكنها لاحظت فجأة وبقليل من الخجل نظرات «كريس» إليها، لذا قالت معتذرة بعد أن أنهت طبقها:

- الهواء النقى يبعث الشهية.

- المهم أن لايكون هناك زيادة فى الوزن.

قال «كريس» كلماته ونهض لصب العصير فى الكأس ثم أضاف:

- لا تتحركى من مكانك، سأعود خلال دقيقتين.

نفذت «آنى» الأمر بصبر، سمعته وهو يشعل نار الموقد فى الصالون، ويحرك بعض قطع الاثاث، ثم ليصل إلى مسامعها أخيرا صوت موسيقى كلاسيكية هادئة. عاد «كريس» إليها، ليمد ذراعه

ويصطحبها إلى الصالون، حيث قام باطفاء الاضاءة تاركاً الانارة مقتصرة فقط على ألسنة نيران الموقد وهى تنعكس فى جميع أرجاء الغرفة. فى حين كان الهواء خارجاً يصفر بقوة.

كان «كريس» قد حرك الأريكة ليضعها قرب الموقد حيث جلست «آني» وهو إلى جانبها يمسكها من كتفيها، مما دفعها للقول:

- أكدت لى أنك رجل لطيف ولبق.

- أنا قلت ذلك!، خطأ.. قالها «كريس» مستغرباً وهو يتنفس الصعداء بدرجة مبالغ فيها لدرجة لم تتمكن معها منع نفسها من الضحك وأضافت بعدها:

- حسناً، ليكن لن أتناقش مع كاذب.

- والآن حدثينى قليلاً عن عائلتك.

تفوه «كريس» بكلماته وهو يقدم لها كأس عصير ارتشفت منه رشفة وهى تتأمل مفكرة.

- حصلنا أنا وأخى على شرف إجراء لقاء معنا عند قيامنا بانقاذ طفل ألقى به على الشاطىء، وأبى أيضاً أجرى معه لقاء أثناء ترشيح نفسه لمجلس النواب.

هنا انفجر «كريس» ضاحكاً.

ثم ساد الصمت بينهما فترة باستثناء صوت طقطقة الأسنان على الخبز واللحم وقرع الرياح على النافذة، حتى قطعه «كريس» فجأة بالقول:

- ألم تحسى بالفضول أبداً لدخول غرفة عمتك «بيرتا»؟

- بلى، بالتأكيد، الجميع ألقى نظرة عليها، ولكن العبث بأوراقها وتفتيش أغراضها أمر لم يجرؤ أحد على عمله. ولهذا السبب لم يحاول أحد حرق أوراقها وأغراضها؟

- فى رأيك، لما كانت تريد حرقها؟

- لا أعلم. رغم أن بعض الأوراق التى وقعت تحت يدى لم تكن إلا خطابات لا تحتوى على ميزات خاصة. ولكن سيأتى يوم وأطلع على جميع أوراقها. واقع الأمر أن تلك كانت إرادتها.

- هل تريدين المساعدة؟

- لا شكراً، ليس هذا المساء.

كان شريط التسجيل قد وصل إلى نهايته، مما اضطر «كريس» للنهوض من مكانه وتغييره، عاد بعدها إلى مكانه لاتمام شرب كأس العصير.

استدارت «آنى» برأسها نحوه لتلتقى بنظرات عينيه الزرقاوين المتوجهتين نحوها وأحست به يقرأ أفكارها، كما استمر محدقاً فيها، بدالها الأمر غير محتمل ووجدت نفسها بحاجة للصراخ والقفز والقيام بأى عمل للتهرب من تفحصه لها ومن نظراته.

- حدثينى عن حياتك؟.. بادرها «كريس» بالقول فجأة.

- أعتقد أن حياتك أكثر أهمية.

- لا . لا شىء هام فيها، كما لا أرغب الحديث عنها.. على الأقل ليس الآن. أحست «آنى» بامتعاض «كريس» تجاه هذا الرد وبنظرات حزن انعكست على وجهه، مما دفعها لإعادة سؤاله مؤكدة:

- ما الذى تود معرفته؟

- كيف ترعرعت بين ثلاثة إخوان وعائلة كبيرة؟ أنا ولد وحيد تفوه «كريس» بجملته الأخيرة وهو يداعب كأسه الفارغة.

بدا وكأن الدور قد حلَّ الآن لتتأمله الفتاة الشابة، وهو يبتسم ويملأ الكأسين من جديد ويعاود القول:

- أرجوك، الأمر يهمنى حقاً.

واقع الأمر أن فضوله بدا حقيقياً، لأنه ينصت إليها بإمعان وهى تتحدث عن معاكسات إخوتها لها خلال فترة الطفولة من انتزاعهم لعبها ومحاولة السيطرة عليها، ثم كيفية تعلمها الدفاع عن نفسها بعد أن كبروا، وقد حدثته عن جولة لعبها معهم لعبة «مونوبولى» الشهيرة واستمرار الجولة بينهم ثلاثة أيام لم تنته إلا مع حضور زوار لوالدتهم، وبالتالى رميها جميع أوراق اللعبة: من أورق الحظ والبنوك والمنازل والفنادق داخل الموقد.

كانت «آنى» - أثناء الحديث - تمسك بكأس العصير وترتشف منه، فى حين كان «كريس» ينهض من مكانه، يحرك نار الموقد أو يغير شريط التسجيل، مع استمرار أفكاره وانتباهه منسجمين مع حكايات «آنى» التى لم تنس أن تحدثه عن تلك الأمسيات التى كانت تمضيها مع إخوتها حول المائدة وبعد العشاء وهم يتحدثون ويتناقشون فى اشتقاق وأصل إحدى الكلمات أو فى طريقة عمل مولد محروقات حتى تقوم والدتهم باجبارهم جميعاً على النهوض والتوجه إلى النوم، كما تطرقت فى حديثها إلى ذلك اليوم الذى أمضت فيه مع أخيها - الذى يصغرها بعام واحد فقط - وشارلى يوم سبت كاملا وهما يتنزهان بالمترو دون دفع الأجرة، وحجتهم عند والدتهما أنهما متوجهان إلى المكتبة العامة و....و...

فجأة توقفت «آني» عن الكلام بعد أن تنبهت إلى أنه مضى فترة طويلة عليها وهي تتحدث وتروي، ثم أردفت:

- أعذرني، أحسست بالملل بل إنني مستغربة عدم نومك حتى الآن.

- كان ذلك رائعاً، تماماً كما تخيلته.

صمت «كريس» فجأة، ثم أضاف:

- من هو شارلي؟

- صديقي. هو الآن في بوسطن.

- ألهذا السبب تجلسين على حافة الأريكة، بعيدة عني؟

فكرت «آني» قليلاً بما سمعت ثم أومأت برأسها موافقة، في حين سألها «كريس» بلطف:

- هل يحبك شارلي؟

- أجل.

- وأنت تحبينه؟

ترددت «آني» قليلاً قبل أن ترد بالقول:

- إنني... إنني لا أعرف... قالتها بصراحة.

هنا نهض كريس من مكانه فجأة وقال وهو يمسك يدها:

- آن أوان الذهاب إلى النوم. على الأقل بالنسبة لك، لأنني سأقوم بترتيب المطبخ.

ساعدها «كريس» على النهوض ورافقها حتى السلم وهو يتمتم:

- وعدتك التصرف كرجل لبق ولطيف، لكنني لم أفكر أن هذا أمر لا يمكن احتماله.

تفوه بكلماته تلك وهو يقترب منها ليحيطها بذراعه ويطبع قبلة على شفتيها.

أحست «آني» بحرارة تنتشر في جميع جسدها وبادلته القبلة.

- تصبحين على خير... قالها «كريس» قبل ذهابه إلى المطبخ تاركاً الفتاة مذهولة مما حصل، لتستجمع قواها بعد عدة دقائق وتجري مسرعة إلى الطابق الأول.

ما إن دخلت غرفتها حتى وجدت قميص نوم قديما، تمددت في السرير واستغرقت مباشرة بالنوم.

في الليل، استيقظت «آني» مرتين الأولى على صوت ضجيج وقوع قطعة معدنية. تركت سريرها وتوجهت إلى الخزانة لارتداء روب النوم، ولكن كان «كريس» أسرع منها لأنه كان قد سمع صوت الباب الخلفي يُفتح.

توجهت «آني» إلى النافذة والابتسامة مرتسمة على وجهها لعلمها بما كان يحدث فقد وقع صندوق المهملات.

أما في المرة الثانية، فقد استيقظت لأنها أحست بفتح بابها ودخول أحدهم واقترابه من فراشها. واقع الأمر أنها لم تحس بالخوف، بل على العكس، شعرت وكأن هذا الشخص الغامض جاء للسهر على راحتها.

ها هي يد تداعب خصلات شعرها، وتطبع بعدها قبلة خاطفة على جبينها. ابتسمت «آني» في نومها، وهي تشعر بالشخص يبتعد عنها ثم صوت الباب يُغلق. ما إن جاء الصباح، حتى بدأت أشعة الشمس تداعب وجهها لتوقظها من نومها، مع إحساسها برائحة القهوة والبيض قادمة من المطبخ.

www.ekromancia.com

الفصل السابع

- هذا هو المكان المثالى، للتحدث عن وصف قطاع الطرق والمهربين.

قالتها «آنى» بصوت الواثقة. ثم أردفت:

- كان جدى يحدثنا أن هذه المنطقة تميزت بتهريب الويسكى أثناء فترة منعه. أخيراً وصل الاثنان إلى قمة الهضاب التى يرتفع فوقها رأس يصل ارتفاعه إلى عشرة كيلومترات وسط زرقة المحيط الهادى. فى حين يبرز بالمقابل رأس آخر، وإلى الغرب ارتفعت الصخور وكأن المنطقة شبه جزيرة تتلاطم دوماً أمواج المحيط عليها، أما الشواطىء فبدت رملية، تلفحها الأمواج.

إلى الشرق امتدت فتحة «توماّل» محاطة بالهضاب وغابات الصنوبر، كان ذلك كلام الفتاة الشابة تشرح لـ «كريس» ما تراه من حولها، ثم تابعت قولها:

- أخيراً، عليك القدوم إلى هنا فى أحد الأيام العاصفة لترى الأمواج العالية وهى تتجاوز الحاجز الرملى لمدخل الفتحة. ويذكر جدى أيضاً وجود مراكب قادمة من كندا تصطف على طول الشاطىء. كان يتم تفريغ البضاعة على مراكب صغيرة وغالباً ما ينتهى الأمر إلى معارك وشجارات بين رجال الجمارك والمهربين.

- خطر بين عدد من الأخطار.

ابتسمت «آنى» لكلامه. فى حين أشار «كريس» إلى الأعمدة التى زرعها حراس الحديقة الوطنية التى اجتازها الاثنان سيراً على الأقدام بعد تركهما السيارة.

قرأ أحدهما اللافتات المكتوبة «يمنع إقامة المعسكرات» «انتبه، منطقة ثيران»، «عدم الحذر قد يكلفك حياتك».

لم تكن «آنى» مهتمة كثيراً بتلك اللافتات، لأنها تعرف تماماً أخطار هذه المنطقة، لذا تركت «كريس» يتابع قراءتها.

- هل من وسيلة للوصول إلى تلك الصخور؟.. سألها «كريس» أثناء تقدمها إلى الرأس.

- مستحيل. ولكن هناك بلاچا صغيراً يمكن الوصول إليه سيراً على الأقدام، هناك، انظر. ولكن لا يمكن قيادة مركب فيه.

- كيف يمكن الوصول إليه، لا أرى أى طريق.

- إنه سر لا يعرفه فى هذا العالم إلا خمسة أشخاص فقط. لا أحد منهم يبوح به، وإلا انتشر السائحون فى المكان بزمن قياسى.

- من المفترض أن يهربوا من الثيران ومن الصخور والموافقة على السير على الأقدام. وهذا ما يجعلنى متأكداً تماماً من وجود ستة أشخاص فقط سنوياً ممن ستتاح أمامهم فرصة الوصول إلى هذا المكان.

كانت الشمس قد أصبحت عمودية على الأرض، ومع ذلك لايزال الطقس بارداً فالرياح تصفر من المحيط. وكريس يحس برعشة البرد رغم الكنزة الصوفية التى يرتديها، مما دفعه لسؤال «آنى»:

www.elromancia.com

- هل من طريقة للهروب من هذه الرياح؟

- أنت من أصررت على المجيء إلى هنا؟

- عليّ - من الآن فصاعداً - اتباع نصائحك. هيا لنذهب ونرى مكان لقاء المهربين باسم حب العلم و«جوشوا ايفرغرين».

دخل الاثنان إلى غابة كثيفة الأشجار يتبعان فى طريقهما آثار الثيران التى مرت بالمكان، كانت الأرض رطبة وبعض من أغصان الأشجار تسد الطريق عليهما، ومع ذلك تابعا سيرهما.

أخيراً وصل الاثنان إلى الشاطىء الصغير المغطى بأشعة الشمس، الذى تتلاطم أمواج المحيط على رماله. كانت الفتحة واسعة جداً فى ذلك المكان لدرجة تمكنا معها من رؤية المنازل الموجودة على الجهة المقابلة.

الملاحظ أن لا وجود للهواء فى هذه المنطقة، مما دفع «آنى» للجلوس على إحدى القطع الخشبية الكبيرة المنسية التى حولتها مياه البحر إلى خشبة بيضاء اللون.

خلع «كريس» كنزته وتمدد على بساط من الأزهار الزرقاء المستقرة فى الوسط بشكل رائع، توجه إلىّ «آنى» بالسؤال وهو يستند إلى كوعه:

- هل أنت واثقة أن هذه النباتات والمزروعات غير سامة؟

- لا أعلم ما هى هذه المزروعات، لكننى سأنظر فى الكتاب عند عودتى إلى المنزل.

- على كل حال، فات الأوان.

اتكأ «كريس» برأسه على يديه وهو يرسم ابتسامة عريضة:

- تعالى، المكان هنا مريح جداً. ألا تريدين الجلوس؟

- لا، شكراً.

- حسناً، أيقظينى فى حال رأيت ثوراً يقترب منى.

قال «كريس» كلماته تلك وأغمض عينيه ثم استسلم للنوم مباشرة. أخذت «آنى» تتأمله قليلاً، ثم ما لبثت أن نهضت من مكانها وتوجهت إلى شاطىء المياه، حيث يتكاثر وجود الحيوانات والنباتات. كما يمكن ملاحظة سباحة بعض من الحيوانات الهلامية الزرقاء الصغيرة طافية على وجه الماء. وقد وجدت أن عليها تجاوز تل ملىء بشقائق النعمان البحرية فى حال رغبت الاقتراب من المكان. كان هذا المنظر فى العادة كفيلاً بنقلها إلى عالم آخر، ولكن ها هى أفكارها اليوم تدور فى أفق آخر باتجاه الرجل النائم على بعد أمتار منها.

بدأت تفكر بذلك الإنسان الذى نزل المطبخ مساء البارحة وأخذ يرتب الصحون ويجليها، ثم يقوم بتحضير الفطور الصباحى ليذهبا بعدها إلى القرية لشراء الصحف والخبز الطازج.

حاول «كريس» أثناء تقديمه القهوة الممتازة والبيض اللذيذ لـ «آنى» استخدام كامل قوته لاقناعها باصطحابه لزيارة «رأس بيرس» وقد ظلت «آنى» تكرر على مسامعه ضرورة دخوله المكان من سان فرانسيسكو. فى حين ظل يؤكد لها بالقول:

- علىّ التواجد فى مساحة الأحداث والاسيفتقد كتابى الواقعية.

و.. هذا هو السبب الآن فى تواجدها وحيدة على ساحل رملى خال من الناس... رجل اثار فضولها حقاً.

لاحظت «آنى» عند نزولها لتناول طعام الافطار معه ارتداءه لباس الرياضة ومريول مطبخ قديما ووقوفه خلف الفرن. التفت نحوها وتأملها بعينيه الزرقاوين مبتسماً ثم سألها:

- كيف تحبين البيض؟

يا للغرابة عندما أحست «آنى» بضربات قلبها تزداد خفقاناً ووجنتيها تحمران خجلاً. ووجدت أن سعلة بسيطة تفتعلها كفيلة بالابتعاد عن الرد، مما دفع «كريس» للاقتراب منها والربت على ظهرها، تلك الحركة البسيطة التى كانت كفيلة بإثارة ارتعاشها، وأجبرتها على التوجه إلى الصنبور لشرب كأس ماء. وما إن عادت إلى مكانها حتى ألقت نظرة إعجاب باتجاه «كريس» الذى بادلها النظرة بابتسامة مسلية وهو يكسر البيضة فى المقلاة.

كانت «آنى» قد جلست ويدها المرتجفة تخفيها بالامساك بالصحيفة لإخفاء ارتعاشها. ماذا حدث لها؟ لِمَ جاءت مثل تلك الجملة البسيطة لتعرضها لمثل هذه الحالة. أخذت تجبر نفسها على التفكير بجميع الأشياء غير المحببة، موعدها مع طبيب الأسنان وجميع الأوراق والدفاتر الواجب تصحيحها هذا الصيف والفواتير التى ستدفعها. على كل حال يبدو أن «كريس» لم يلاحظ شيئاً.. فكرت «آنى» وهى تعود للجلوس فى مكانها أن ردة فعله لا يمكن تفسيرها. ومع ذلك وجدت نظراتها تتجه رغماً عنها إلى الرجل النائم بجانبها وتحلل شكله بأنفه الطويل قليلاً وشعره المجعد وحاجبيه الكثيفين نوعاً ما.

فى حين لم يكن لدى «شارلى» أىٌّ مما تتمناه، رغم طول قامته وعضلات كتفيه بينما لاحظت عينا الفتاة الشابة وهى تنظر إلى جسمه، طول خصره واتساعه وإلى عضلات رجليه البارزة مرتدياً بنطالاً من الجينز انتهاءً بقدميه العاريتين الموضوعتين فى بوط التنس المستعمل. ثم ما لبثت أن التفتت إلى يديه وإلى صدره وأنفاسه وهى تتصاعد، ولاحظت أيضاً آثار جرح خطير من الكوع وحتى قبضة اليد، راسماً خطاً أبيض اللون على سمرة جلده.

كانت تلك المرة الأولى التى تلاحظ فيها مثل هذا الأثر. ترى كيف جُرح، لِمَ لم يحدثها عنه؟ ما الذى تعرفه عنه؟

كان فقيراً، وها هو الآن يكسب عيشه من تعليم الأدب وكتابة روايات الجاسوسية. يبدو أنه كان تلميذاً نشيطاً وطباخاً ماهراً وحسن التذوق. هذا كل شىء، ولايزال هناك الكثير ترغب باكتشافه والتعرف إليه إنه ذلك الشخص الذى يجذبها ويثير قلقها بآن واحد. حاولت «آنى» تقليب المشكلة بجميع نواحيها فهى تعلم تماماً أن أقل شجاعة تأتى من قبلها قد تكون كافية لتعليق علاقة عابرة. لكنها كانت واثقة تماماً من عدم تمكنها التعامل مع هذا الأمر بشكل عادى ومن تألمها كثيراً فى حال حدث ذلك. ثم ماذاعن شارلى؟ شارلى الشجاع البعيد عن أى سرية، واضح الأهداف آلا نسمع المثل القائل: عصفور باليد أفضل من عشرة على الشجرة؟ لِمَ يعرِّض المرء حياته الهادئة والمنظمة لخطر التعرف على شخص مجهول لا يفكر إلا بكيفية قضاء فصل الصيف؟

«عودى إلى منزلك وتجنبى لقاءه حتى مغادرته المنزل» إنه صوت العقل يخاطب «آنى» التى تشد على قبضتى يدها وتعض على شفتيها وتتنفس بعمق، ثم تجبر نفسها للنظر إلى الرجل من رأسه وحتى أسفل قدميه. ها هى ضربات قلبها تزداد خفقاناً تعود بعدها إلى دقاتها الطبيعية، فجأة تنبهت «آنى» إلى أن «كريس» بدأ بالاستيقاظ فتح عينيه وهو يثبت نظره فيها بتعابير لم تستطع تفسيرها اخترقت كيانها. أرادت «آنى» النهوض، ولكن ببطء واضح، أمسك «كريس» ذراعها وأجبرها بهدوء على البقاء والعودة للجلوس أرضاً.

ها هى «آنى» تجد نفسها ممددة أمامه، وكأنها تحلم أسيرة ذراعيه اللتين تحيطان بها وشفتيه اللتين تلامسان شفتيها.

بدا كل شىء من حولهما رائعا: السماء والشمس والمحيط وسرير الأزهار تحتهما، تحت جسديهما اللذين يحسان بنفس درجة الحرارة وبنفس الرغبة. ما لبث «كريس» أن انتقل بقبلاته إلى رقبتها وأذنيها و ... وهى مستسلمة بين أحضانه، ترتاح برأسها إلى صدره، تنصت إلى خفقانه.

تنبهت «آنى» شيئاً فشيئاً إلى ما حولها واستعادت وعيها وإحساسها بالعالم الخارجى من حولها، بأصوات الأمواج والرياح وجرس الفتحة البعيد وحرارة الشمس. ها هو خيال يعبر بين الشمس وبين «آنى» مما دفعها لفتح عينيها. فى حين أحس الاثنان بطائر أسود كبير يعبر فوق رأسيهما مما أخاف «آنى» وجعلها تقترب من «كريس» أكثر.

ها هو الخيال يعود من جديد و«كريس» هو الذى رفع رأسه فى هذه المرة متسائلا:

- ما هذا؟

- إنه نسر. من المؤكد وجود جثة فى إحدى الزوايا. وهو واحد من قوانين توازن الطبيعة فدور النسور هو التنظيف.

- عليك التصرف تجاه موضوع «شارلى».

أومأت «آنى» برأسها موافقة.

بدأ الطقس يتعكر، حيث أصبح الهواء رطباً وأخذت الغيوم تغطى الشمس والضباب يعتم الفتحة.

ارتدى «كريس» قميصه وكنزته. لم تكن المياه بعيدة كثيراً عن قطعة الخشب.

- الأمواج بدأت بالارتفاع. علينا العودة حالاً.

- أجل... قالها «كريس» موافقاً وهو ينهض من مكانه ويساعد «آنى» على القيام.

سار الاثنان عائدين وقطع الحصى الصغيرة تجرح قدميهما. فى حين كانت أشجار الصنوبر الصغيرة الكثيفة تزيد من صعوبة مرورهما مما يدفعهما لتجاوز الصخور والمرور بين فتحاتها، حتى عثرا على رأس مركب. مما دفع «كريس» للتوقف والتعليق وهو يتأمل ما حوله:

- من السخرية القول إن هذا الشكل من عمل المهربين... إن تسلق الشاطىء الصخرى مع شاحنات الكحول أمر شاق، دون الانتباه إلى أن رجال الجمارك والشرطة لا يستطيعون إلا الانتظار بهدوء للقبض عليهم مع وصولهم إلى الأعلى.

- هذا ليس بالأمر السهل. فهم لا يستخدمون نفس الطريق مرتين، كما أن رجال المنطقة يساعدونهم دائماً. حتى جدى كان يقول إن هناك ويسكى سيئًا يُصنَع فى هذا المكان وأنه يفضل ويسكى التهريب.

- يجب العثور على مكان آخر لابطالى. فالبعض منهم ليسوا شباباً كما ليس بامكانى تحمل طريق صعب لهذه الدرجة.

أخيراً وصل الشابان إلى منطقة رملية تتسع لأن يسيرا معاً بجانب بعضهما. هنا أمسك «كريس» ذراع الفتاة بحركة طبيعية لمنعها من الاعتراض.

سألته «آنى»:

- حدثنى عن فكرة كتابك!، كيف حدث أن أبطالك جميعاً مسنون؟

- الفكرة الأساسية تقوم على مجموعة نازية تتواجد فى الباراغواى.

- نازيون!

- لا تخافى، إنها أيامهم الأخيرة، هل تعرفين اسطورة «غوتارد يميرونغ»؟

www.elromancia.com

- أعرف القليل عنها، لها علاقة بالأسطورة الألمانية، التى استمد منها «فاغز» مجموعة الأوبرا التى ألفها.

- كان النازيون متأثرين جداً بالأسطورة. فـ «وتان» الإله الذى قاد الآلهة، المتعب من جميع حماقاتهم، سكت تماماً بعد تدمير مدينة آلهة الحرب «ولهالا». هذا ما تعنيه اسطورة «غوتارديميرونغ».

بحث «هيتلر» فى تقليد «وتان» «وجر» «ألمانيا» إلى الريح لكنه فشل.

- إذن النازيون فى روايتك، يريدون فى نهاية حياتهم جر العالم إلى نهايته.

- لقد فهمت كل شيء. إذ قرروا الخروج من الكوكب من خلال الدخول فى نظام المعلوماتية الخاص بالدفاع الأمريكى، بهدف إرسال بعض الصواريخ لضربها على أراضى الاتحاد السوفيتى، الذى سيرد عليهم حتماً. ثم ها هى الحرب العالمية الثالثة قد قامت. عليهم - فى سبيل الوصول للتحكم بحواسب البنتاغون وبرامجه - إيجاد أفضل شخص معلوماتى، لذا تجدهم يأتون إلى «وادى سيليكون» فى جنوب سان فرانسيسكو. فالعالم أجمع يعلم تماماً أن العبقريات فى هذا المجال تتواجد فى تلك المنطقة، العبقريات التى تحب التحدى والتى تعمل بنظام الحاسوب، ولكن كيف الوصول إليهم؟ إن المال لا يهمهم أبداً، فهم يقبضون أموالاً طائلة. لذا عليك بالكوكايين.

- كيف تعرفه؟

- لا تنسى، إن هذه قصة خيالية بالامكان اكتشاف أى شيء فيها واستخدامه بصورة جيدة. على كل حال، ربما تكون هذه الحقيقة. فالناس فى وادى سيليكون أثرياء وشباب.. الكوكايين هو المخدر الأكثر انتشاراً بين هذه الأوساط. لنتابع حديثنا الآن، النازيون فى روايتى فى

«باراغواى» القريبة - كما تعلمين - من بوليفيا تقع على نفس خط الطول وتتميز بنفس الطقس، ولا يمتلكون المال، مما يجعل الأمر طبيعيًا فى توجههم لتجارة المخدرات.

- وهل يقفزون من الكوكب؟

- الأمر أكثر تعقيداً. يعتقد الشاب العامل بالمعلوماتية وجود صناعة جاسوسية تعمل لصالح اليابان، مما يجعله حجة رئيسية ويتيح المجال للحديث عن عقدة ثانية موازية للأولى فى الرواية.

- ويأتى بطلك الشهير «جوشوا».

- تماماً، هو المنقذ كالعادة.

- هل حقيقة أمر وجود أحد غزا حاسوب البنتاغون؟

- آمل أن لا يكون هذا قد وقع. علىّ أن أوثق الأمر فى «وادى سيليكون»؟

هل تريدين مرافقتى؟

- تذكر أن لدى عملاً. ثم إنه ليس بالمكان الذى يشدنى أو يستهوينى. تجاوز الاثنان منطقة الصخور ليجدا أنفسهما على حافة طريق أكثر اتساعاً وعرضاً من سابقه، حيث يتوقف مستودع إحدى السفن:

- هذا أفضل. للنظر.

- أجل، ولكن يتميز هذا الشاطيء بقربه من الطريق سيارتنا على بعد كيلو متر أو كيلو مترين خلف هذا الصف من الأشجار.

- هذا الشاطيء غير مزدحم؟

- لا. فالناس هنا لا يحبون السير على الأقدام.

- لنعد، فأنا أعلم تماماً أن عليك - لسوء الحظ - العودة إلى الطريق الرئيسى وأدرك تماماً عدم رغبتك فى القيادة ليلاً.

بدأ الاثنان سيرهما بجد وسط الأشجار. ما إن سطع ضوء، حتى التفتت «آنى» باتجاه «كريس» مشيرة إليه بالاقتراب فهناك قطيع يمر من بعيد إنها عجول صغيرة تلعب مع أماتها.

- إذن هذه هى الثيران المتوحشة.

- إنهم حتى يلعبون فيما بينهم ويتناطحون.

أخيراً لم يبق أمام «كريس» و«آنى» إلا صخرة واحدة عليهما تجاوزها. كانت الأعشاب مرتفعة جداً لدرجة لا يمكن معها النظر بشكل جيد إلى طريقهما.

ها هى «آنى» تقع فجأة على الأرض. وثقل فوق قدميها منعها من النهوض، مما جعلها تبقى جامدة فى مكانها للحظات، محاولة تنفس الصعداء، ثم مالبثت أن أدارت رأسها لتفاجىء بـ«كريس» يرتمى فوقها ويحتضنها:

- إنك مجنون، اتركنى!

- صه، لا تتحركى، انظرى إلى أعلى الهضبة.

آثرت «آنى» الصمت وقلبها يزداد خفقاناً، ولكن السبب فى هذه المرة لا يعود لاقتراب «كريس» منها وإنما لوجود ثور ضخم يتخبط على الأرض عند الهضبة، ورأسه متجه نحوهما.

بادر «كريس» إلى القول ناصحاً:

- لا تتحركى أبداً، وإلا سيهجم علينا. وإذا مثلنا دور الأموات، فإنه - بأسوأ الحالات - سيمر من فوقنا دون أذى.

حرك الثور قرنيه وأطلق صرخة مدوية.

سألها «كريس»:

- هل سبق وتعرضت لمثل هذا الموقف؟

- لا، رأيته من بعيد فقط، ولكن دون الاقتراب منه. كنت أظن أنهم يبالغون فى الحديث عن خطره.

- ماذا لو بقينا ساكنين دون حركة على مدى ساعات، ربما ينتهى به الأمر إلى الذهاب بعيداً.

- لو كان معنا جهاز لاسلكى، لا ستطعنا استدعاء الحرس، فيأتون لإنقاذنا.

أخذ الثور يضرب الأرض بقرنيه، مما جعل «كريس» يتدخل بالقول:

- أعتقد أن تلك الفكرة لم تعجبه أبداً.

- حسناً، لنمثل دور الأموات حتى ينسانا تماماً.

ولكن ها هو الثور يدير ظهره لهما ويغادر المكان مبتعداً إلى الجهة الثانية من الهضبة.

انتظر الشابان، حتى يختفى الثور عن الأنظار تماماً لينهضا.

- تصور أنه ربح.

- أعتقد ذلك، لم عاملنا باحترام؟

تابع «كريس» و«آنى» سيرهما باتجاه الطريق الرئيسى بحذر شديد خاصة وقد بدأ الضباب يعمّ المكان والرؤية أصبحت سيئة جداً لدرجة ربما يتواجدون فيها وجهاً لوجه أمام أحد الثيران دون أن يعلموا بذلك. هنا بدأت «آنى» ـ التى كانت تعتقد معرفتها المكان عن ظهر قلب - تتساءل فيما إذا كانا تائهين.

ولكن ها هو الطريق الرئيسى يظهر أمامهما وسيارة كريس واقفة من بعيد.

جلس الاثنان على الأرض ليتنفسا الصعداء. كان على «كريس» إضاءة لمبات سيارتها والقيادة بحذر شديد حتى انتهاء منطقة الرأس وحتى تصبح الرؤية أفضل.

- أحس بالألم عند تفكيرى بما حدث معنا.

- أجل، ولكن التراجع أمر سخيف. ساستوحى تأليف كتابى من كل ما رأيت. مهربون يهاجمهم الثيران.

ها قد وصل الاثنان إلى المنزل. و«كريس» يصر على ذهابها مباشرة حتى لا تتأخر، وقبل قدوم الضباب إلى المنطقة.

- الأسبوع القادم سأكون فى «وادى سيليكون»، لكننى سأراك فى سان فرانسيسكو خلال عطلة نهاية الأسبوع لنفكر بمستقبلنا ظلت «آنى» صامتة لحظات ثم سألته:

- ما الذى تنتظره؟

- أسرعى. سأظل خلفك بسيارتى حتى وصولك إلى الحديقة الوطنية خاصة وأننى بحاجة إلى بعض المشتروات من المدينة.

ركبت «آنى» سيارتها وكريس خلفها بسيارته ومالبثا أن وجدا سيارتيهما تسيران وسط حشد من السيارات المتجه أصحابها للتنزه على الشواطىء. استغل «كريس» فرصة توقف السيارات للحظة فنزل من سيارته واقترب من زجاج سيارة «كريس» ليرسل لها قبله.

ولكن ها هى سيمفونية من الزمامير تصدح خلفهما، دون الالتفات إليها إطلاقاً. واكتفى بالقول:

- نسيت شيئاً هاماً.

نظرت «آنى» إليه متسائلة فى حين اقترب منها طالباً قبلة طويلة على شفتيها، مما أفقد السيارات الصبر وظهرت مجموعة من راكبى الدراجات مرت من أمامهما بأصوات صفير، لم تنتبه إليها «آنى» إطلاقاً.

فجأة ابتعد كريس عنها تاركاً «آنى» مذهولة عدة لحظات مما حصل.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

ما إن دخلت «آنى» المنزل، حتى سمعت صوت الموسيقا يصدح فى جميع أرجائه، مع قيام «إيف» بتمارينها الرياضية اليومية والتى توقفت عن اللعب مع دخول «آني» وبادرت إلى القول:

- آنى!، ماذا حدث معك؟

- كيف يمكن التصرف مع الثور؟، لحسن الحظ أنه لم يهاجمنا.

- ما حكاية الثور تلك؟

نهضت «إيف» من مكانها مرتدية كلسات زهرية اللون ومايوها أسود.

- انظرى فى المرآة!، ماذا حدث بينك وبين فيلدس؟

التفتت «آنى» إلى المرآة الموضوعة أعلى الموقد وأدركت مباشرة صدمة «إيف». فشعرها دون تمشيط ووجهها ملىء بالغبار والتراب.

- اهدئى. إنها ليست غلطة كريس. سأنظف جسمى ثم أعود لأروى لك ما حدث.

- ألا تريدين استدعاء الطبيب؟

- لا، إذا كنت أريده فذلك فقط ليعالج ألم رأسى.

ردت بها آنى «مبتسمة» ثم توجهت مباشرة إلى الحمام، تاركة «إيف»

تتضور جوعاً. وما هى إلا دقائق حتى أنهت «آنى» حمامها وعادت للجلوس مع صديقتها التى مازالت ترتدى اللباس الرياضى.

تمددت الفتاتان على الأريكة وهما تحتسيان الشاى فى حين حاولت «آنى» أن تلخص ما حدث معها خلال الأيام الأخيرة، التى ما إن سمعت أن المستأجر كاتب روايات جاسوسية شهير، حتى أطلقت صرخة استغراب.

لم تنس «آني» شيئاً فى سرد حديثها: النزهة على شاطىء البحر، ولقاء تيلما وزوجها الضخم، ونقاشهما عند الموقد ونزهة اليوم، ولا حتى القبلة الطويلة على شاطىء المياه.

جاءت حكاية الثور لتثير رعب وخوف «إيف».

أخيراً أنهت «آنى» كلامها بالحديث عن قبلة الوداع بينها وبين كريس فى السيارة ممارسم ابتسامة على وجه صديقتها.

- ماذا علىَّ أن أفعل؟

- أنت فتاة قليلة الخبرة، لم يصدف أن كان لك صديق حقيقى باستثناء شارلى ذاك، صديقك القديم الذى كنت تعرفينه منذ طفولتك وهاأنتذا تقعين فى حب...

- لا، لم أقل هذا الكلام، لكننى أحس بمشاعر لم يسبق أبداً أن احسست بها تجاه «شارلى».

- أنت لم تعرفيه إلا منذ يومين فقط، بل ولا تعرفين عنه شيئاً. يبدو لى كل شىء سريعاً.

- ولكن..

- جذاب ووسيم كما هو، مما يؤكد وجود عشيقة له فى كل مدينة، وأنت لن تكونى إلا لعبة بين يديه.

- تكذبين، ذلك لأنك لا تعرفينه.

- كل ما أحاول عمله هو أن تفهمى تماماً ضرورة الحفاظ على برودة الأعصاب والتفكير جيداً قبل إقدامك على أى عمل. يمكنك أن تتسلى - إذا أردت - ولكن لا تحملى الأمر على محمل الجد. هذه رسالة السيدة «إيف» لك والآن، إليك هذا الخبر السيئ. «شارلى» سيتصل بك خلال...

قطعت «إيف» كلامها وألقت نظرة إلى ساعة حائط الصالون لتتم بعد ذلك كلامها بالقول:

- خلال خمس دقائق وهو على قناعة تامة بأن السيد «فيلدس» ليس إلا تاجر مخدرات.

- كيف...؟

توقفت «آنى» عن الحديث وإتمام جملتها وهى تتذكر مكالمتها الهاتفية مع شارلى كان ذلك خطأها. ألم تؤنب صديقتها على ارتكابها خطأ بالتسلية والمزاح؟ ألم تطلب منها أن تقول لـ«شارلى» الحقيقة؟

- لن أستطيع التحدث معه. ماذا سأقول له؟

- لو كنت مكانك لما استطعت اتخاذ قرار نهائى، لننتظر تطور الأمور مع السيد «كرابوج».

- اسمه «كريس»، لا يمكننى الكذب...

ها هو جرس الهاتف يرن، نهضت آنى من مكانها وهى تتنفس الصعداء.

- هذا الرجل الشجاع «شارلى» نظامى دوماً. سأرد عليه من هاتف المطبخ. ادعى لى بالحظ السعيد.

خرجت «آنى» من الصالون تاركة «إيف» تنصت لجهاز الراديو ولصوت موسيقا الروك تصدح فى جميع أنحاء الشقة.

أمسكت «آنى» بسماعة الهاتف لتسمع صوت شارلى على الطرف الآخر.

- آنى؟.. آنى؟

- صباح الخير. كيف حالك؟.. ردت بها آنى باحساس طفلة تحس بالخجل.

- بخير، لِمَ قضيت الليلة فى «انفيرنيس»؟ هل هناك مشاكل؟

- لا، حلَّ المساء فجأة، لذا فضلت النوم هناك على قيادة السيارة ليلاً. حصل معك هذا عدة مرات.

- لِمَ عدت متأخرة اليوم؟

- اسمع، لقد تجاوزت الرابعة من العمر، وأنت لست أمى... قالتها «آنى» بلهجة جافة.

- أعذرينى، فقد قلقت عليك.

أحست «آنى» بالخجل من عصبيتها. خاصة وقد شعرت تماماً بمدى قلق شارلى عليها:

- اصطحبت «كريس» المستأجر، فى زيارة إلى الرأس.

www.elromancia.com

- قالت لى «إيف» إنه تاجر مخدرات.

- إلى أى رأس ذهبت؟

- أى رأس؟، ما قصدك؟

- فى إطار تجارته! هل ذاك المتخصص بتهريب الحشيش أم الآخر المتخصص بالكوكايين؟

- إنه ليس تاجر مخدرات. إنه كاتب ويبحث عن مكان لأحداث روايته فى المنطقة إذ يقوم أبطاله بتلك التجارة. إنه يهدف إلى توثيق أحداث روايته.

- كنت أظن أنه أستاذ. ماذا كان اسمه؟

- فيلدس، «كريستوفر فيلدس»... ردت بها «آنى» بالتشديد على كل حرف من الحروف.

- لم أسمع عنه أبداً، غريب؟ هل سبق ونشر كتبه؟

- أجل، ستفاجأ إذا قلت لك اسمه المستعار الذى ينشر به.

- ما هو؟

- لا يمكننى البوح به. هذا سر. لا أحد يعلمه.

- لماذا صرح به أمامك؟ هو يكذب حتماً. ربما يكون قد صرح باسم من باب الصدفة لاخفاء هويته.

- لا، هذا غير صحيح. فلديه أسلوب كتابى متخصص جداً. وقد قرأت بعضاً من مخطوطه.

- ماذا تعرفين عنه أيضاً؟

- لا شىء كثيراً. يعود فى أصله إلى «كونيكتيكوت» وعنده بطاقات تأمين توضح وجود حسابات ضخمة فى البنوك.

- ماذا يكتب؟

- روايات جاسوسية.

- هل تحاولين إقناعى أن «إيان فليمنغ» استأجر منزلك؟

- لا تكن سخيفاً إلى هذه الدرجة. فـ «إيان فليمنغ» مات، أعلمك أن كاتبنا هذا له نفس المكانة.

ساد الصمت فترة بينهما، فى حين ظلت «آنى» بانتظار السؤال الذى يليه قلقة خشية عدم قدرتها على الاستمرار فى الكذب فى حال طلب منها تفاصيل أكثر عن علاقتها بـ «كريس».

- أخيراً سألها «شارلى»:

- هل تلقيت رسالتى؟

فوجئت «آنى» بسؤاله لدرجة لم تستطع معها سؤاله: أية رسالة؟ لكنها تذكرت فجأة وفى الوقت المناسب أن المظروف لايزال على الطاولة دون فتحه:

- لم يكن لدى وقت لقراءته.

- إنها رسالة هامة، اقرئيها واتصلى بى، اتفقنا؟

بدا «شارلى» قلقاً، فى حين أحست «آنى» بالذنب تجاهه وهى ترد مؤكدة:

www.elromancia.com

- هذا وعد.

ثم ما لبث الحديث أن اتجه إلى حوارات أخرى: منها آخر الاكتشافات الجراحية الخاصة بالمريض الشاب وزيارة «بوبى»، تمكنت «آنى» من وقفها ومن ثم إنهاء المكالمة الهاتفية.

توجهت «آنى» إلى رسالته لقراءتها متوجهة إلى الصالون، حيث تجلس «إيف» وسط «كراسات» ونشرات خاصة بدروس القفز المظلى المجانية.

بادرت «آنى» مباشرة إلى القول:

- لم يسألنى عن ليلتى التى أمضيتها هناك.

- هذا بسببى فقد أخبرته أن السيد «فيلدس» يبلغ السابعة والثمانين من العمر.

هنا رمت لها «آنى» الصحيفة ضاحكة وتوجهت إلى غرفتها.

مرت عدة أيام قبل أن تفتح «آنى» رسالة «شارلى» إذا كانت دروسها الصيفية قد بدأت فى بناء آخر. مما جعلها مضطرة للتآلف مع المقيمين الجدد معها والتلاميذ الجدد. ولوضع برنامج تفصيلى، وبالتالى لم يعد لديها أى وقت فراغ.

لم يكن لدى «آنى» الوقت حتى للتفكير بـ «كريس فيلدس» بهدوء، رغم وجوده المستمر فى بالها. فصورته لاتفارق خيالها أينما تحركت، حتى وهى تلقى دروسها سواء عن الحيوانات الأليفة أو عن الديناصورات، مما آثار انزعاجها، خاصة مع محاولتها اتباع نصيحة «إيف» فى نسيانه. ولكن ها هى تهرب من حادث سير محتم، اثناء

تفكيرها بضرورة إجبار نفسها على نسيانه وطرده من ذاكرتها. مما دفعها لاتخاذ قرارها النهائى فى التصرف بصورة طبيعية وعادية.

كان أول ما فعلته فى هذا الاطار هو توجهها إلى مكتبة ضخمة لشراء خمس قصص مغامرات لـ « جوشوا ايفرغرين».

رأت بادىء الأمر أن جميع محاولاتها فى إبعاده عن ذهنها آلت إلى الفشل، لأن «كريس» كان دائم الاتصال بها كل مساء من «وادى سيليكون» ليتحدث معها وكأنهما يعرفان بعضهما منذ فترة طويلة، فى حين كانت «إيف» تقطب حاجبيها دوماً مع رؤيتها صديقتها تسارع إلى الهاتف مهرولة وهى سعيدة.

أخيراً استجمعت «آنى» شجاعتها فى إحدى الأمسيات، وبدأت بقراءة رسالة «شارلى» وهى مقتنعة تماماً بمعرفتها بمحتواها. لتفاجأ فى الصفحة السادسة منها بمفاجأة كانت بانتظارها.

«وصل بك الأمر فى أحد الأيام لدرجة اتهامى أننى أعاملك بشراسة وقسوة، الحق معك. فقد كنت أنتظر منك الكثير، وأكثر من الاعتماد عليك والراحة لوجودك.

تصورى أننى فكرت أنه باستطاعتى العيش فى بوسطن لأصبح جراحاً مع إقامة علاقات صداقة جديدة، مع المحافظة على عدم تغيير شىء مما بيننا أما الآن فإننى ألاحظ اخفاءك شيئا ما عنى».

هنا رفعت «آنى» حاجبيها مستغربة تابعت بعدها قراءة الرسالة:

«أجد من الحماقة أن أعرض عليك الزواج منى. لحسن الحظ أنك أعطيتنى فترة للتفكير. إذا كنت أريد الزواج، فذلك يعود لإحساسى

بالوحدة، والغربة فى هذه البلاد. أعلم تماماً أنك تغيرت وأنا أيضاً. ولا أنكر وجود العديد من الاغراءات فى بوسطن التى - ربما - تكون السبب فى إجبارى على البقاء هنا. وأنا لا يمكننى أن أطلب منك مثل هذه التضحية، لذا سأكتفى بالطلب إليك أن نظل - ريثما تتخذين قرارك - أصدقاء وان نبقى على صلة مع بعضنا البعض. ربما أعود بعد فترة إلى طلب يدك، ولكن ثقى أن ذلك لن يكون لملء فراغ فى حياتى، أو للتخلص من إحساس الوحدة، عندها فقط يصبح بإمكاننا إقامة حياة مشتركة معاً أساسها قاعدة متينة وقوية».

وضعت «آنى» الرسالة جانباً، ثم تمددت للقراءة وغرقت فى رواية «فاليريان» إذ كان بطلها «جوشوا إيفرغرين» أستاذاً فى الانثربولوجيا وقد اعتاد السفر إلى أماكن خطيرة وموحشة وبعيدة باعتباره ينتسب إلى منظمة سرية تكلفه - فى بعض الأحيان- القيام بمهمات مستحيلة، تقوم على أساس الاتصال بمجموعات دولية.

واقع الأمر أن موافقة «جوشوا» معلم المدرسة، على القيام بتلك المهمات يوجد الشبه الكبير بينه كبطل للراوية وبين المؤلف نفسه. يعود «جوشوا» بأصله فى هذه الرواية إلى وسط مرموق، فوالده ديبلوماسى سافر فى جميع انحاء العالم يصاب البطل بالعرج نتيجة وقوعه من أحد شلالات همالايا. وقد بدت مغامراته تحدث ضمن أماكن أكثر غرابة - بشكل عام - بين كاليفورنيا أمثال: تايلاند والشمال الكبير ومنطقة «لاسكو» فى فرنسا.

أخيراً ها هى عطلة نهاية الأسبوع تأتى، ما إن جاء اتصال «كريس» الهاتفى مساء الجمعة، حتى كانت «آنى» قد فقدت صبرها ولم تستطع

إخفاء ملامح الفرح والسرور المرتسمة على وجهها مع سماعها صوت «كريس»، خاصة وأن «إيف» كانت قد خرجت من المنزل مع صديقها الجديد الديناميكى والملّ. بادر «كريس» إلى القول عند سماع صوتها:

- سأقدم لك اقتراحاً لا يمكنك رفضه. ما رأيك فى مرافقتى غداً إلى المكتبة. أبدت «آنى» موافقتها مباشرة بفرح لا يوصف، كأنه يدعوها إلى إحدى جزر الكاريبى.

ها هما الاثنان على درجات سلم البناء. أحست «آنى» بنفسها كتلميذة تذهب إلى أول موعد غرامى لها، فى حين بدأ «كريس» وكأنه تلميذ جامعى ببنطاله الجينز وقميصه الأبيض وكنزته سوداء اللون، قابلها بابتسامة ارتسمت على وجهه، ثم ما لبث أن رفعها بين ذراعيه.

- لايزال هناك بعض الآثار على وجهك، هل ذلك بسبب غطلتى؟

- لا تخف، اعتدت عليه فقد كنت أثناء طفولتى معرضة كثيراً للاصابات والجروح عند تجولى فى منطقة الصخور.

- كنت أفكر فيك طيلة الأسبوع الماضى.

جلس الاثنان على درجات السلم تحت اشعة الشمس، الواحد منهما بجانب الآخر، ليبدأ «كريس» ويحكى لها ما حدث معه خلال الأسبوع الماضى فى وادى «سيليكون» أنهاه بالقول:

- لا تقلقى. لايزال أمامى أبحاث كثيرة يجب تنفيذها هل لديك بطاقة اشتراك؟ ربما يتيح ذلك المجال أمامى لاستعارة بعض الكتب.

- أجل سأستغل الفرصة لتجديدها فهى بحالة مزرية. نهض الاثنان من مكانهما وتوجهها إلى الباب الزجاجى الخاص المطل على

القاعة الرئيسية لفتحه. توجهت «آنى» إلى الشباك حيث يتم تقديم بطاقات الاشتراك.

أطلّت عليها سيدة من النافذة تسألها عن مكان إقامتها، فما كان من «آنى» إلا أن أخرجت شهادة السواقة وبطاقتها القديمة، حيث قامت المرأة بطبع رقمها على الحاسوب وتوجهت إليها بالقول:

- يمكنك الاختيار بين إعادة الكتب السبع التى سبق واستعرتها منذ أربع سنوات وبين دفع غرامة مالية. وإلاَّ لا يمكننى إعطاءك بطاقة جديدة رفعت «آنى» حاجبيها مستغربة وسمعت صوت أنفاس «كريس» من خلفها وهى تسأل المرأة:

- أى كتب؟

ضغطت المرأة زراً آخر من أزرار الحاسوب وماهى إلا ثوان حتى كانت هناك قائمة كبيرة مكتوبة بأسماء الكتب سلمتها لـ «آنى».

- كيف بإمكانك أن تصبح عالم فلك؟ الجداول السنوية لفرق كرة القدم، الوصول إلى تعلم الميكانيكا. قرأت «آنى» العناوين بصوت منخفض.

فى حين كانت الأربع كتب الأخرى عبارة عن قصص من الخيال العلمى. مما دفع «كريس» للقول معلقاً:

- لديك أذواق مهمة ومثيرة.

- إنه أخى الصغير «بوبى». من المؤكد أنه أضاع بطاقته واستعار بطاقتى.

- حسناً، لم يعد أمامى إلا أن أطلب بطاقة مؤقتة، باعتبارك إنسانة خارجة عن القانون... قالها «كريس» وهو يقترب بدوره من الشباك.

أخرج «كريس» أوراقه، وتحدث إلى الموظفة بصوت منخفض، مما جعلها تمنحه البطاقة فوراً دون أية صعوبة. قائلة:

- نحن بخدمتك، دكتور فيلدس.

لم تأت «آنى» بأية حركة كما لم تنبس ببنت شفة، حتى صعد الاثنان السلم، عندها توجهت إليه قائلة باستغراب:

- هل أنت دكتور .. آداب؟

- أجل، لم أذكر ذلك أمامك، ليس عن قصد ولكن استخدمت لقبى اليوم من أجل الحصول على السماح بدخول المكتبات.

كان «كريس» يريد الاطلاع على الصحف القديمة الموضوعة فى الميكروفيلم، فى حين أحست «آنى» بالتعب مباشرة من تدقيق نظرها إلى الشاشة وهى تعرض صفحات تلك الصحف، وهذا مادفعها للخروج إلى صالة المعارض لتأمل معرض خاص بحريق سان فرانسيسكو، وقراءة نصوص تتعلق بالأدب الفيليبينى ومنه إلى صالة القراءة، حيث عثرت على «كريس» منكباً على قراءة صحيفة الفيغارو، الأعداد الصادرة خلال السنوات ٢٠ - ٤٠، يحاول كتابة بعض الملاحظات منها باهتمام كبير لدرجة لم تجرؤ معها على الاقتراب منه ومقاطعته.

هنا تمكنت «آنى» من اكتشاف أمرين يتعلقان بـ «كريس» الأول أنه يقرأ اللغة الفرنسية بطلاقة والثانية أنه حائز على درجة الدكتوراه فى الأدب. لقد أدهشت هذه المعلومات «آنى» وربما أصابتها ببعض من خيبة الأمل لكنها آثرت الصمت واكتفت بالقول:

- سأتوجه إلى قسم العلوم.

www.elromancia.com

أومأ «كريس» برأسه موافقاً.

وقع اختيار «كريس» على كتاب خاص بعضديات الأرجل «حيوانات من شعبة أشباه الديدان»، أمسكته وتوجهت للجلوس إلى طاولة جلس إليها رجل مسن يبدو أنه يقرأ الصحيفة اليومية ليوفر شراءها من البائع.

غرقت «آني» فى قراءتها، لدرجة لم تسمع معها صوت اقتراب «كريس» منها لذا بادرها بالقول:

- انتهيت.

- هيا بنا... ردت بها «آني» وهى تنهض من مكانها وأعادت الكتاب إلى مكانه أثناء مرافقتها له.

الفصل التاسع

- إنك رائعة وجذابة... قالها «كريس» مجاملاً «آنى» وهى ترتدى فستاناً من الحرير المطبّع يُبرز صدرها وقدَّها الجميل، كانت قد اشترته مساء البارحة خصيصاً لهذه المناسبة.

- لم يكلفنى شيئاً. وأنت أيضاً تبدو أنيقاً.

هذا ما ردت به «آنى» وهى تتأمله بإعجاب، ببدلته زرقاء اللون، مع قميص أبيض وربطة عنق تم ربطها بعناية، مما يثبت صحة كلام «إيف» فى حصوله على ملابسه حتماً من محلات خياطة مشهورة. كان لباسه بالاضافة إلى جاذبيته وسحره كفيلاً بلفت أنظار جميع النساء الموجودات إليه.

- أين بدلتك الرمادية؟

- أوه!، أخذتها إلى المصبغة للتنظيف.

قال جملته وهو ينظر إلى وجبة الطعام باستغراب، ثم ما لبث أن أردف:

- أحس بنفسى تائهًا فمعرفتى بالمطبخ الصينى لا تتعدى الحساء البيكينى وطبق البط.

هنا انفجرت «آنى» ضاحكة. فـ «كريس» لم يكن يحبذ كثيراً

www.elromancia.com

الذهاب إلى مطعم صينى.

- كنت أود اصطحابك إلى مكان أفضل، وليس إلى واحد من هذه المطاعم البسيطة... تفوه «كريس» بجملته مؤكداً.

هذا وكانت آنى قد أخذته إلى حى رئيسى، ومن ثم إلى مطعم كان فى السابق محل بقالة ليجدا أن الديكور الأصلى للمكان لايزال موجوداً فى الداخل، والجدران محافظة على تزييناتها ورسومات الخضار والفواكه والسمك عليها. فى حين لوحظ وجود حوالى خمس عشرة طاولة صغيرة مغطاة بأغطية بيضاء مزهرة جميعها محجوزة. كانت «آنى» تعرف مدى الازدحام فى هذه الأمكنة، لذا آثرت الحجز هاتفياً.

- كيف حدث أن لديهم مثل هذا العدد من الزبائن رغم أن المطعم بعيد عن وسط المدينة؟.. سألها «كريس» مستغرباً.

- لأن صحيفتى «الدليل الأزرق» و«نيويورك تايمز» صنفتا هذا المكان على أنه أربعة نجوم، وذلك بعد أن تم اكتشافه من قبلى ومن قبل «إيف». وقد احتفظنا بهذا السر فترة طويلة، لكن يبدو أن قنصل الصين اكتشفه وبدأ يدعو ضيوفه الهامين إليه، تبعه فى ذلك عمدة المدينة ثم..

- نعم نعم، فهمت الأمر، أخذ يؤمه جميع سكان المدينة. ما إن دخلت «آنى» المطعم حتى طلبت كعادتها «حساء الجبل الأبيض» المكون من حساء الدجاج المغطى بالبيض المخفوق، ثم توجهت بالسؤال إلى «كريس» أثناء تذوقها الحساء:

- ما مشاريعك للغد؟

- إننى أشدُّ اهتماماً ببرنامجنا لهذا المساء... أجابها. «كريس»

بابتسامة عريضة ترتسم على وجهه.

أحست «آنى» مع تذوقها الحساء بحسن مذاق طعمه، وحاولت التهرب من الخوض فى حديث السهرة هذا الذى ظلت تتجنبه منذ دعوته لها على العشاء، لذا سألته مباشرة:

- هل ركبت التلفريك للوصول إلى «الكاترازـ»؟

هنا اتضح لـ «كريس» عدم قيامه بجولات سياحية فى سان فرانسيسكو للتعرف على حديقة الحيوان والحيوانات المائية.

ما لبث «كريس» أن تنازل بسرعة عن استعمال الطريقة الصينية فى الطعام والتفت إلى استخدام الشوكة العادية، فى حين ظلت «آني» تأكله وفق تلك الطريقة، مما دفعه لسؤالها بإعجاب:

- أين تعلمت هذه الطريقة؟

- كانت إحدى أفضل زميلاتى فى المدرسة صينية الأصل، وغالباً ما تناولت طعام العشاء مع أسرتها. على كل حال، يجب أن تعلم أن غالبية سكان «سان فرانسيسكو» من الصين.

- وهل تتحدثين لغتهم؟

- بالتأكيد.... قالتها «آنى» وتلفظت بعدها بكلمات صينية.

- وماذا تعنى هذه الجملة؟

- سنة جديدة!، إنها كلمة ضرورية يستخدمها الإنسان مرة واحدة كل عام ولكن هذا كل ما تعلمته. فأنا لست مغرمة بتعلم اللغات على فكرة لاحظت أنك تقرأ اللغة الفرنسية.

- أجل، أعطنى من فضلك صلصة السويا.

- لن أفعل بالتأكيد، إنها جيدة للسائحين، ستفسد صحتك... قالتها «آني» معترضة وبعنف.

- أنا سائح، دعيني أفعل ذلك.

رد بها «كريس» وابتسامة ساحرة ترتسم على شفتيه، ابتسامة لم تستطع «آنى» مقاومتها فقبلت.

- حسناً ولكن لا تضع منها كثيرًا. ما اللغات التى تتحدثها أيضاً؟

- البرتغالية.

- أين تعلمتها؟

- فى «فول رايفر» ـ إذ كان هناك جمعية للصيادين البرتغاليين وغالباً ما كنت أذهب إلى الميناء وأنا طفل.

أخيراً... ها هو يتطرق للحديث عن طفولته وعلى «آنى» الاستفادة من هذه الفرصة.

- أنت تعرف كل شىء عنى. والآن جاء دورك لتروى لى قصة طفولتك. نظر إليها «كريس» نظرة تعبر بوضوح عن عدم رغبته الخوض فى هذا الموضوع. واكتفى بالرد على تساؤلها وإنهاء والموضوع بالقول:

- «فول رايفر» مدينة تقع على البحر، لا شىء مهم يمكن أن يُذكر عنها. ثم ما لبث الحديث أن اتخذ مجرى آخر، وبدأ الخوض فى أمور السياسة والموسيقا وكأنهما غريبين يتبادلان عبارات المجاملة.

ما إن بدأ الاثنان بتناول صحن حلوى الموز، حتى التقت نظراتهما معاً ثم أيديهما وأخيراً شفاهما فى قبلة طويلة...

هنا نهضت «آنى» من مكانها فجأة، لتقابل بنظراتها نظرات

«كريس» المتسائلة:

- لم تسمعى كلمة مما قلت. أدفع غاليا لمعرفة فيما تفكرين فيه.

- لا أفكر بشىء خاص. طبق الموز هذا لذيذ.

ارتسمت الابتسامة على وجهه. فى حين بادرت «آنى» إلى القول:

- لقد ذهبت «إيف». ثم تابعت:

- هذا يعنى أن دروس القفز المظلى لا تكفيها. ثم ترى هل قررت اتباع دورة قفز مظلى؟

بدا «كريس» غير مهتم إطلاقاً بنشاطات صديقتها الرياضية واكتفى القول:

- يمكننا إنهاء السهرة عندك.

أومأت «آنى» برأسها موافقة.

ما إن وصل الاثنان إلى المنزل، حتى أحست «آنى» بالاحباط، صحيح أنها كانت تنتظر عطلة نهاية الأسبوع هذه بفارغ الصبر، لكنها لا تعرف «كريس» جيداً حتى الآن، مما دفعها للشعور بالندم على قرارها ذلك، خاصة وأن تلك كانت المرة الأولى التى تدعو فيها شخصاً غريباً إلى منزلها، بعد تواجدها بمفردها.

كان «كريس» يحاول التعرف بها بشكل عادى، خاصة إذ قام بطلب فاتورة المطعم ودفعها، ثم أمسك ذراع الفتاة وغادر المكان.

ظل «كريس» أثناء سيرهما يتحدث عن العاصفة والضباب وعن مشاكل كراجات السيارات، وسألها فيما إذا كانت تحب عصير الأناناس باعتباره المشروب المفضل عند الجلوس إلى نار الموقد. ثم

www.elromancia.com

توقف ـ بعد موافقتها ـ عند أحد المحلات واشترى زجاجة منه.

عاد ضمير «آنى» يكرر على مسامعها أنها مجنونة، فى حين كان قلبها يحدثها بأشياء أخرى، ويرتجف بانتظار الارتماء بين أحضان «كريس»، ولكن - لحسن الحظ - أن جاءت الحركات المعتادة من إشعال نار الموقد والبحث عن زجاجات العصير التى رتبتها «إيف» فى البوفيه ووضعها على الصينية لتخفف من حدة التوتر فى نفسها.

إضافة إلى أن تصرفات «كريس» بدت بعيدة تماماً عن الشك والريبة، إذ أنه لم يأت بحركة غير عادية أو بنظرة غير طبيعية، بل إنه حتى لم يحاول تقبيلها.

أحست «آنى» بنفسها سخيفة وشديدة الخجل من تقدمها حاملة الصينية إلى الصالون. كان «كريس» جالساً على السجادة ومستنداً بظهره إلى الأريكة، وقد خلع الجاكيت ونزع ربطة العنق.

جلست «آنى» بجانبه على الأرض وبدأت بملء كأس العصير ثم ارتشفت بعدها جرعة منها.

ولكن ها هى جميع محاولاتها بالحفاظ على برودة الأعصاب تبوء بالفشل، خاصة مع مداهمة السعال لها والتفاته إلى الربت على كتفيها لتخفيف حدته. ترى هل كان ذلك بسبب العصير؟، مع ذلك فلاتزال يده على كتفيها وجسده قريبًا منها تحس بضربات قلبه وبعضلات جسمه تقترب منها. أخذ «كريس» يداعب وجهها بأصابعه بدءا من أنفها وجبتها وانتهاء بوجنتيها حتى انتهى الأمر بـ «آنى» إلى ضمه وتقبيله بعنف مما دفعه للهمس بأذنيها:

- لا تستعجلى الأمر.. لدينا العمر بأكمله.

ثم ما لبث أن بدأ بمداعبة عنقها وكتفيها وجسدها ببطء كبير لا يحتمل، حتى انتهى إلى عناقها وغرق الاثنان فى بحر من الحب.

فجأة، وصل إلى مسامعهما صوت إغلاق باب سيارة، وضجيج من خلف باب المنزل تلاه خطوات تبتعد عن المكان، مما جعل «آنى» تستعيد وعيها وتعود إلى الواقع فى حين صرخ «كريس» مستغرباً:

- ماذا حدث؟

- إنها «إيف»... قالتها «آنى» وهى ترتدى ملابسها.

- كيف عرفت؟

- إنها غالباً ما ترمى حقيبة يدها أمام المنزل قبل عودتها إلى السيارة لوضعها فى الكراج.

ما إن وصلت «إيف» المكان حتى كان كل من «كريس» و«آنى» بوضع مقبول، يجلسان إلى الأريكة. دفعت «إيف» باب الصالون، وحدقت بعينيها لدى رؤيتهما، ثم ساد صمت طويل قطعته «آنى» بالقول:

- مساء الخير كيف الدورة؟

أخذت «إيف» تشرح لهما ما حصل معها منذ خروجها وحتى وصولها، شرب الثلاثة العصير، ثم مالبث «كريس» أن اعتذر مغادراً المكان.

¿ ¿ ¿

www.elromancia.com

الفصل العاشر

حاولت «إيف» يوم الاثنين التالى جهدها لقطع دروسها، فقررت الذهاب لتمضية الأسبوع مع عائلتها فى «وادى غراس».

ساعدتها «آنى» على ترتيب حوائجها فى سيارتها، ثم ودعتها متمنية لها قضاء إجازة سعيدة. ما إن دخلت «إيف» السيارة حتى مدت رأسها من زجاج السيارة وصرخت قائلة:

- سأقول لك عندى عودتى، انتبهى لنفسك وكونى عاقلة.

ابتسمت «آنى» مع ابتعاد سيارة «إيف» وسماع كلامها. إنها المرة الأولى التى تحس فيها بالسرور لمغادرة «إيف» المنزل.

قام «كريس» فى ذلك اليوم بإرسال باقة ورد كبيرة لها واتصل بها هاتفياً ليخبرها بتقدمه فى تأليف كتابه.

يوم الثلاثاء، كان يوم تناولها الفواكه الغريبة المصحوبة بقراءة قصيدة شعرية لشاعر من القرون الوسطى.

ثم ها هو فى اليوم التالى رجل أنيق يقرع بابها ويغنى لها واحدة من قصائد شكسبير، أرسله «كريستوفر فيلدس».

أحست «آنى» بالسرور لمفاجآت «كريس» واقتربت منه لتطبع قبلة على شفتيه، لثقتها أن تلك طريقته فى التعامل، فهو أستاذ قبل كل شىء؟ هذا ما فكرت به «آنى» وهى واقفة على باب المنزل.

وما إن رن جرس الهاتف مساء الخميس، حتى كانت «آنى» قد وصلت إلى قناعة أنه «كريس»، خاصة مع أملها الكبير وانتظاره على مدى نصف الساعة السابقة التى كانت تقوم خلالها بتصحيح أوراق الطلاب ودفاترهم. تركت «آنى» الهاتف يرن أربع مرات، لترفع بعدها السماعة:

- صباح الخير... قالها «شارلى» بلهجة عادية.

- كيف حالك؟.. ردت بها «آنى» محاولة إخفاء إحباطها ويأسها.

- لا بأس، تخيلى من بجانبى؟

- لا أعلم.

- إنه «بوبى» أخوك الصغير يريد التحدث معك.

- وأنا أيضاً... قالتها وهى تتذكر المكتبة.

- «يا صغيرى». قالتها «آنى» دون إتاحة المجال لأخيها لإلقاء تحية الصباح عليها.

فجأة تذكرت «آنى» أن أخاها كبر وأصبح بطل البيسبول فى فريق مدرسته سألها «بوبى»:

- ماذا؟

- قمت باستخدام بطاقة الاعارة الخاصة بى للمكتبة واستعرت كتباً لم تعدها حتى الآن وها أنا أدفع الغرامة الآن!

- آه، هكذا إذن. اسمعى سأحول لك المبلغ، أقسم على ذلك.

- آمل ذلك!، والآن كيف حالك؟ لِمَ لا تكتب لى؟... تابعت «آنى» قولها بلهجة أكثر هدوءًا.

- لم يمض على انتهائى من امتحاناتى إلا القليل. لدى خبر هام. نعتقد أنا وشارلى أننا توصلنا لاكتشاف هوية المستأجر عندك.

- كيف ذلك؟

- إننى أعرفه شخصياً وأعرف اسمه المستعار.

- أحست «آني» بعدم إدراك ما يقول دون أى سبب وجدت نفسها تعلق قائلة:

- هذا مستحيل.

- أتريدين أن أصفه لك؟: إنه طويل القامة، أسمر، صاحب عينين زرقاوين، ويعمل استاذاً؟

- أجل ولكن....

- عنده أثر جرح على يده اليمنى؟

- لم ألاحظ ذلك... قالتها «آنى» كاذبة.

- أنا متأكد أنه هو التقيت به العام الماضى فى «ليتكلاس».

- وماذا يدرسك؟.. سألته «آنى» محاولة تغيير مجرى الحديث.

- أدب كلاسيكى، إنها مادة إجبارية. تخيلى أن الأقاويل من حولنا تشير إلى أنه «فاليريان»، ثم ها هو «شارلى» يخبرنى أنه مؤلف روايات

جاسوسية. كل ما أقوله صحيح، أليس كذلك؟

- قليل من الهدوء يا بوبى، فقد أقسمت أمامه بالمحافظة على السر الذى أخبرنى به أنا فقط لعدم وجود خيار أمامه. عدنى أن لا تتحدث بهذا الأمر أمام أحد.

- ولكن «آنى» جميع أصدقائى مغرمون بكتبه ومؤلفاته...

- بوبى هذا يكفى، أعطنى شارلى.

- ولكن...

- ليس هناك لكن...

هنا أمسك «شارلى» السماعة وبادر إلى القول:

- لا يعجبنى أبداً أن يقطن هذا الشخص منزلك، لِمَ يخفى نشاطاته؟ أجد أن شخصيته غريبة.

- اسمع، لقد قام بدفع الأجرة مقدمًا، وأنا بحاجة إلى هذا المبلغ، أرجوك، أعمل لى هذا المعروف، حاول تهديد «بوبى» وتخويفه حتى لا يبوح باسمه.

- أنا على وشك تصديق أن...

- كريس، أقصد السيد «فيلدس» شرح لى عدم قدرته الوقوف أمام طلابه ومواجهتهم فى حال عرفوا أنه "فاليريان". سيكون الأمر مروِّعاً بالنسبة لمهنته. أرجوك حاول إقناعه، بحق السماء.

عاد أخوها إلى الحديث ليخبرها قائلاً:

www.elromancia.com

ـ اتفقنا، هذا وعد، أقسم أننى لن أخبرا أحداً بهذا الأمر، لكن عليك بالمقابل دفع غرامة المكتبة.

ـ إنها مساومة، ولكننى موافقة، اعتمد علىّ.

ـ حسناً. حقاً لدىّ أيضاً خبر هام أود نقله إليك يتعلق بالسيد «فيلدس» وبقيامه ـ أثناء تدريسه لنا مادة الأدب المعاصر ـ بالتحدث عن العمة «بيرتا» وبمعرفتها جميع الأوساط الفنية الباريسية. أليس من المضحك مصادفة استئجاره هذا المنزل؟

ـ كيف ذلك؟، لِمَ تحدّث عنها؟

ـ تحدث عنها أربع أو خمس مرات وعن المؤلفين الذين كانت لها علاقة بهم. الحقيقة أننى أحسست بالفخر من وجود من هو مشهور ومعروف فى أفراد عائلتنا.

ـ أجل، أجل. كيف دراستك؟.. سألته «آنى» دون الالتفات إلى الرد والاهتمام به.

ـ رائع، فأنا أتعلم كل يوم شيئًا جديداً.

ـ حسناً. هل من أخبار عن والديك؟

ـ لقد اتصلوا بى البارحة. جميعهم بخير. والآن سأريحك فلدينا حفل موسيقى وعشاء مدعوون له.

ـ ماذا؟ شارلى يطبخ!، منذ متى؟

ـ ليس هو، إنها «مارلين».

ـ ومن مارلين هذه؟

ـ جارته فى المسكن. فتاة رقيقة تحضِّر لنيل الدكتوراه، رافقتنا إلى الحفل الموسيقى.

ـ حسناً، عشاء شهياً وسلامى إلى شارلى... تفوهت «آنى» بكلماتها تلك وأغلقت سماعة الهاتف ثم توجهت إلى البراد لتناول كأس عصير، وبعدها إلى درجات السلم المؤدية إلى الحديقة للجلوس عليها. كانت السماء صافية ولا وجود للضباب من حولها. مع ذلك فلم تحس بالهدوء والطمأنينة.

فقد بدأت الأفكار المشوشة تدور فى رأسها. كريس هل كذب عليها؟

هل «شارلى» و «إيف» على حق؟ وهى تنصحها «فكرى جيداً»، حللّى أقواله بالتفصيل. ترى لِمَ أخفى «كريس» عنها أنه دكتور بالآداب؟ ثم لِمَ لم يذكر لها أنه يعلِّم فى المعهد الملكى، واحد من أهم المعاهد المتخصصة بالمرحلة الثانوية؟ ربما اعتقد ـ بكل بساطة ـ أنها لم تسمع عنه أبداً. ولكن الأمر الأشد خطورة الذى لم يخبرها به هو معرفته بالعمة «بيرتا».

بدأت «آنى» تلاحظ أنه لم يكذب عليها وإنما أخفى بعض الأمور، مما يجعل الأمر غير مفهوم. إذ ربما أنه قام بذكر عمتها فى دروسه من خلال ملاحظات كتبها عنها عندما روت له حكاية المنزل.

إضافة إلى تشوش ذهنها بشكل واضح من خلال أحاديث شارلى وإيف معها حول هذا الموضوع. واقع الأمر أن «شارلى» لم يقابل «كريس» أبداً ومع ذلك بدا حذراً منه. فى حين كانت «إيف» قد تعرفت إليه جيداً. ترى هل من الممكن أنها مصابة بعمى الحب؟

www.elromancia.com

الأمر الواضح تماماً هو شدة غموض وسرية «كريس». فيما يتعلق بماضيه وخاصة بفترة الطفولة، ولكن هل هذا سبب كافٍ لما يجرى!

هنا تذكرت «آنى» كلام والدها ونصيحته باللجوء ـ فى حال وجود افتراضين بذهن المرء لنفس الظاهرة ـ والعودة إلى ما تقوله غريزته. فى هذه الحال يكسب «كريس» باعتبار أن الفتاة الشابة كثيرة الثقة به. ولكن ها هى «آنى» تتوصل بعد فترة من التفكير وتتخذ قرارها فى سؤال «كريس» مباشرة فى كل أمر يهمها.

جاء صوت جرس الهاتف ليبعدها عن شرودها وأفكارها.

ركضت «آنى» مسرعة وأمسكت بالسماعة:

ـ ألو؟

ـ صباح الخير يا حبيبتى... جاء من صوت «كريس».

ـ صباح الخير... ردت بها «آنى» بجفاء.

ـ ألست على ما يرام؟.. قالها «كريس» مندهشاً.

ـ بلى، بلى... كنت مشغولة... حاولت «آنى» الكذب.

وهكذا دار الحديث بين الاثنين حول أمور مختلفة، إذ تكلم «كريس» عن أحداث روايته، وتحدثت «آنى» عن دروسها ومستوى الطلاب الدراسى عندها، لتقول أخيراً وبلهجة الاصرار:

ـ سأذهب إلى «انفيرنيس» فى عطلة الأسبوع هذه.

ـ إنها فكرة رائعة. سأنتظرك صباح السبت.

ما إن حل يوم السبت، حتى غادرت «آنى» منزلها مع شروق الشمس، وهى تحمل على ظهرها حقيبة صغيرة وفى يدها ترمس من القهوة. لم تكن السيارات قد بدأت سيرها بعد فى مثل هذه الساعة المبكرة، مما جعل الطرقات خالية، ووجدت نفسها تصل «انفيرنيس» بوقت قياسى. كان «ديمترى» جالساً على شرفته، أومأت له بيدها محيية، توجهت بعدها إلى المدخل المؤدي للمنزل.

لاحظت «آنى» مع وصولها عدم وجود سيارة «كريس» فى المكان، وإغلاق الباب الكبير الأسود الخاص بالمنزل. أحست «آنى» بخيبة أمل. لأن كل ما حولها يشير إلى عدم وجود أحد بالداخل. ترى إلى أين ذهب فى مثل هذه الساعة المبكرة؟

عندئذ قامت «آنى» بجولة حول المنزل محاولة فتح الأبواب والنوافذ فى الطابق الأراضى لكنها فوجئت بإغلاقها بشكل محكم.

صعدت «آنى» فوق إحدى علب القمامة وحاولت الدخول من فتحة صغيرة تطل على رفوف. كان ذلك بمثابة ممر سرى لها ولأخويها ظلوا يستخدمونه أثناء طفولتهم وفى الأوقات الضرورية.

دخلت «آنى» المنزل وبدأت بتفتيش الغرف الواحدة تلو الأخرى. لم تعثر على «كريس»، ليكن فهى لن تتمكن بذلك من مفاجأته كما كانت تتمنى. حاولت «آنى» فتح باب غرفة العمة بيرتا بضربة قوية من قبضتها، لتجدها موصدة تماماً. إذ كم مضى من الوقت حتى الآن ولم تطأها قدم؟ ربما عشر سنوات توجهت «آنى» إلى المستودع وبدأت «آنى» بتفتيش ما بين العلب الكرتونية بحذر، وانتقلت بعدها إلى صناديق كبيرة وكتب وأكياس خاصة بألعاب قديمة. حتى وصلت أخيراً

إلى درج صغير. لم تتردد لحظة فى إنزاله وفتحه لتفاجأ بممر ضيق ملئ بالكابلات وما إن قدرت وصولها إلى ارتفاع سقف الغرفة، حتى تعثرت فى الظلام ودفعت إطاراً بقدميها، ووقعت أرضاً.

ها هى تعود مرة ثانية إلى الغرفة لتعاود فتحها وتفتيش جميع زواياها. بدا الأمر أكثر فظاعة مما تخيلته فى ذاكرتها. أكداس من العلب محاطة بالأوراق والخيوط أمسكت «آنى» بواحدة منها دون تمييز قرأت عليها «بيرتالاف عند وايت، بوست ريستانت، انفيرنيس - كاليفورنيا - الولايات المتحدة الأمريكية». يشير العنوان المكتوب على الصندوق إلى أنه قادم من الدائرة الثامنة عشرة فى باريز. لم تكن تلك الطرود تلفت نظر أحد، ومع ذلك هناك من قام بفتحها مجدداً لأن الغبار عليها أقل من ذلك المغطى غيرها. ساد المكان رائحة الغبار مما دفع الفتاة الشابة لفتح الباب على مصراعيه وترك الهواء يدخل الغرفة.

أخيراً قررت «آنى» الجلوس لتفحص العلب، حيث عثرت على رسائل كتبت بلغات مختلفة، أرسلت من قبل المعجبين بـ «بيرتا» وعلى برامج أوبرا وقصائد شعرية. ثم ما لبث مجلد أسود اللون أن لفت نظرها. إنه دفتر مذكرات عمتها.

«التاسع من شهر آب ١٩٢٧، جاء «هيمى» لتناول طعام العشاء مع زوجته الشابة الجذابة الأرستقراطية. عاد مؤخراً من أسبانيا ويؤكد أن فرانكو سيمسك زمام الحكم. الألمان الحاليون لم يخفوا أبداً رضاهم.

«العاشر من شهر آب ١٩٢٧/ مسرحية لموليير تعرض فى الكوميدى فرانسيز. أعطانى «آرثر» مخطوطه، لم أقرأ إلا الصفحة الأولى منها، لكنه يبدو سيئاً جداً. كانت السيدة «لافال» ترتدى فستاناً بشعاً».

ها هو صوت يهمس خلف ظهرها قائلاً:

- لا تخافى، هذا أنا.

لم تمنع تلك الكلمات «آنى» من النهوض من مكانها خائفة. ورفعت عينيها ببطء حتى تقابلت نظراتها مع نظرة صاحب العينين الزرقاوين «كريستوفر فيلدس».

- لقد أخفتنى.

- أنا آسف، منذ متى وأنت هنا؟ هل مضى على وجودك فترة طويلة.

- لا، أين كنت؟

- ذهبت للاتصال بوكيلى.

- الساعة السابعة صباحاً.

- إنها العاشرة فى نيويورك.

- نحن فى يوم السبت.

- أجل، وماذا يعنى ذلك؟

- هل تتصل بوكيلك كل يوم سبت فى مثل هذه الساعة المبكرة؟

- فقط عندما يريد الناشر تعديل العقد. ماذا لو نغير الحديث.

اقترحها «كريس» وهو يساعدها على النهوض من مكانها ويطبع قبلة على فمها.

- كان عليك حلاقة ذقنك قبل اتصالك بوكيلك.

- تسخرين منى.

قالها «كريس» قبل أن يسود الصمت بينهما من جديد من خلال طبعه قبلة طويلة على شفتيها.

قرر الاثنان التوجه لزيارة معسكر «وايلدكان»، مما اضطرهما لحمل حقائب على ظهرهما تحتوى على سندويتشات وفواكه وكنزات صوفية. وقد أصرت «آنى» قبل بدء الرحلة على حمل دليل وكتاب خاص بكاليفورنيا.

ظل الاثنان يسيران على أقدامهما ما يزيد على العشرة كيلو مترات على الساحل، و «كريس» يعترف بأن منظر شلالات المياه وهى تصب فى المحيط رائع لدرجة كبيرة، فى حين عثرت «آنى» على زهرة مجهولة وسارعت لمعرفة اسمها من الدليل.

لم تجرؤ «آنى» على توجيه سؤالها لـ «كريس» إلا أثناء عودتهما من الرحلة، وسيرهما بهدوء عند منطقة ظل، عندئذ توجهت إليه قائلة:

- لِمَ لم تخبرنى أنك تدرس فى المعهد الملكى؟

لم يرد «كريس» على سؤالها بشكل مباشر، لانشغاله بدفع ثمرة صنوبر بقدمه. أخيراً نطق بالقول:

- حسناً، ظننت أننى أخبرتك بذلك.

- كما أخفيت عنى أيضاً معرفتك بالعمة «بيرتا».

هنا التفت «كريس» نحوها، بدلاً من إظهار لامبالاته ونظر إليها قلقاً:

- لِمَ هذا السؤال؟

- عرفك أخى كأستاذ له العام الماضى، وقد تحدثت عنها أثناء دروسك.

- حقاً. كم العالم صغير من حولنا. إننى لا أذكر أخاك، وهذا ليس بالأمر الغريب. فذاك درس يضم ما يزيد على المائة طالب.

هنا استجمعت «آنى» قواها قبل أن تبوح له بالحقيقة:

- وكيف توافق أن استأجرت هذا المنزل بالذات.

- ليس الأمر كذلك. إذ من المنتظر قيام جميع أساتذة الأدب المعاصر بالتحدث عن عمتك... لدى احساس باتهامك لى بالكذب عليك.

- أليس هذا صحيحاً؟.. سألته «كريس» ونبضات قلبها تزداد خفقاناً.

توقف كريس وأمسكها من كتفيها ليجبرها على النظر إليه وهو يؤكد لها:

- لم أكذب عليك أبداً.

رفعت «آنى» رأسها، لتلتقى نظراتها بعينيه الزرقاوين... ولتقتنع تماماً بإخلاصه.

كان الليل قد هبط على المكان مع وصولهما إلى «انفيرنيس»، والتعب أخذ منهما لدرجة لم يعد بإمكانهما تحضير طبق طعام، مما اضطرهما للذهاب إلى مطعم ديمترى وتناول العشاء عنده، ثم العودة إلى المنزل.

أوقد كريس الموقد وأحضر زجاجة العصير، فى حين كانت «آنى» تستحم بمياه شبه باردة.

ما إن نزلت إلى الصالون حتى وجدت «كريس» غارقاً فى نومه على الأريكة، ظلت لحظات تتأمله، وتتأمل جماله وهو يعكس الصراحة. كان

www.elromancia.com

من الحماقة أن تشك فيه. هذا ما فكرت فيه «آني» التي ظلت لفترة طويلة تتأمل لهيب النار، وتحاول استجماع أفكارها لتذكر رغبات وإرادة عمتها «بيرتا». لِمَ لم يفكر أحد في ذلك قبل الآن؟ إنه أمر بسيط، وكان يكفي حرق أوراقها في الموقد، علبة وراء الأخرى.

صعدت «آني» إلى الرف/ وحملت بين يديها أولى العلبتين اللتين وقعت يدها عليهما، ورمت بهما إلى الموقد. ثم ما لبثت أن ذهبت تبحث عن فرن آخر وبدأت بتمزيق الأوراق.. مما أيقظ «كريس» الذي فتح عينيه قائلاً:

- ماذا تفعلين؟

- قررت تنفيذ وصية عمتي «بيرتا».

- إنه أمر صعب، فهناك ما يزيد على الخمسمائة كرتونة في غرفتها.

- سأفعل ذلك شيئاً فشيئاً. إذ سأقوم بحرق قسم منها كلما حضرت إلى هنا.

- سيستغرق معك هذا الأمر عشرين عاماً.

- لو قام به اثنان لانتهى بوقت أسرع.

- أود مساعدتك ولكن ليس هذا المساء. عطلة نهاية الأسبوع القادمة.

- لِمَ لا يكون غداً؟

- يجب... أن أنظم أموري.

- عود كبريت وينتهي كل شئ.

- أود إنقاذ بعض الأشياء، المنزل على سبيل المثال.

- معك حق. ليس من المستحسن حرق أطنان من الورق.

- عودي للجلوس إلى الأريكة بعد الانتهاء من حرق الأوراق التي بين يديك.

- لماذا؟

- أشعر بالبرد.

- أتريد كنزة؟

- ليس هذا ما أريده بالضبط.

- ربما يكون هذا إذن... قالتها «آني» وهي تقترب منه وتطبع قبلة على شفتيه.

- لست متأكداً.

قالها «كريس» وهو يحتضنها بين ذراعيه. ثم أردف متمتماً:

- هذا ما أريده.

الفصل الحادى عشر

كان كل من «كريس» و «آنى» و «إيف» يجلسون فى مساء اليوم التالى بالصالون، يتناولون سندويتشات الهامبرغر والبطاطس المقلية أمام جهاز التليفزيون. فـ «إيف» عادت من زيارتها العائلية والسمرة تلوّح بشرتها.

بادرت «إيف» إلى فتح باب الحديث بقولها:

- لِمَ علينا متابعة الأخبار المحلية؟

ما إن تفوهت بتلك الكلمات، حتى كانت شاشة التليفزيون تعرض منزل «انفيرنيس»:

- ما هذا...

- اصمتى.

ها هى الكاميرا تصوِّر فتاة شابة أنيقة ترتدى تايوراً أسود اللون وتقف أمام شاحنة لرجال الإطفاء.

«فيرونيكا كوول» من انفيرنيس، تقدم لكم ريبورتاجاً مميزاً. صوت صدر من التليفزيون.

بدأت الكاميرا بالتراجع عن المذيعة والاكتفاء بصوتها للتعليق على صورة المنزل نفسه:

- يقبع ذلك البناء الغريب الجميل على رأس «رايس» ويضم بداخله الملفات الشخصية لامرأة شهيرة. كان يتردد على صالونها الأدبى كبار الأدباء والمؤلفين المعاصرين آنذلك. هنا ظهرت على الشاشة صورة «بيرتا» التى رسمها «سانت كروا»:

- غادرت «بيرتالاف» سان فرانسيسكو عام ١٨٩٠ لتعيش فى باريز آخر أيام حياتها. كانت تقوم بإرسال الطرود إلى عائلتها بشكل نظامى ومازالت موجودة فى المنزل حتى الآن. وقد احتوت تلك الطرود على أوراقها الخاصة ورسائلها ومذكراتها وصحيفتها المحببة، وقصاصات من الصحف.

ظهرت «آنى» على الشاشة وذراعيها تحملان علباً كرتونية. وقفت أمام الموقد.

- ها هى «آنى وايت» المدرِّسة فى «سان فرانسيمكو» والفتاة التى ورثت هذا المنزل عن عمة والدها. آنسة «وايت» هل بإمكانك إخبارنا عن سبب إشعالك هذه النار:

- علىّ حرق جميع محتويات غرفة «بيرتالاف».

- لماذا؟.. سألتها «فيرونيكا كوول».

- لأن تلك كانت رغبة عمتى. لم يفعل ذلك أحد من أقاربها، لذا قررت أنا حرقها هذا الصيف وقد وافق رجال الإطفاء على مساعدتى.

بينما كان يُرى فى خلفية المنظر آخر تلك الصناديق الكرتونية.

- ألا تخشين حرق وثائق قيِّمة؟ فـ «بيرتالاف» على صلة مع عدد من المشاهير.

www.elromancia.com

ـ أعتقد أنه لم يكن هناك أية قيمة لتلك الوثائق إلا فى نظرها هى. على كل حال كانت تلك وصيتها وعلىَّ تنفيذها.

هنا امتد الحريق وأخذت النار تشغل مساحة واسعة وسط حضور رجال الإطفاء للمساعدة والإنقاذ فى حال حدوث أى ضرر.

ـ ربما يكون هناك مخطوط لأحد كبار المؤلفين أو...

ـ كل شىء ممكن. فالعمة «بيرتا» كانت مركز أسرار، لكن لا خيار لدى. فالقرار ليس قرارى ولا علاقة لى به.

ألقت الكاميرا نظرة على الغرفة الفارغة، وانتقلت بعدها للتركيز على الأوراق وهى تحترق متحولة إلى رماد.

ـ لِمَ أصرت العمة «بيرتا» على حرق أوراقها؟ لِمَ أرادت أن تظل حياتها بعيدة عن الأضواء والشهرة؟ أسئلة يطرحها سكان «انفيرنيس» هذا المساء.

قالت المذيعة كلماتها تلك وهى تنقل الميكروفون إلى «ديمترى» المبتسم ليقول:

ـ قصة غريبة.

ـ والآن، إلى أخبار...

هنا نهضت «آنى» من مكانها وأغلقت التليفزيون.

سألتها «إيف»:

ـ لِمَ لم تحدثينى بشئ؟، تعلمين أنه تسعدنى مساعدتك.

ـ لم يكن بالامكان الوصول إليك، وقد حاولت استغلال فرصة عدم

وجود رياح.

ـ وكيف حدث أن علم التليفزيون بالأمر؟

ـ لا أعلم. وصلوا إلى هناك وقامت صحفية من صحيفة محلية بإجراء لقاء معى.

ـ ربما عن طريق رجال الإطفاء... قالها «كريس» متدخلاً.

ـ من يريد بطاطا مقلية؟.. قالتها «آنى».

أخذت «إيف» بعض القطع، نظرت إلى ساعة الحائط وقفزت من مكانها مسرعة.

ـ تجاوزت السابعة، علىَّ تغيير ملابسى.

ـ مع من ستخرجين هذا المساء؟.. قالتها «آنى» قلقة.

ـ مع «بيل» لاعب البيسبول، هناك مباراة هذا المساء، حسناً إلى اللقاء يا أطفالى، كونوا عاقلين.

تفوهت «إيف» بكلماتها وهى تغادر الصالون، وبينما رد عليها «كريس» بإحاطة كتفى «آنى» بذراعه والهمس قائلاً:

ـ لا أعتقد أن بإمكانى البقاء عاقلاً.

كان كل من «آنى» و «كريس» ينظران إلى عصا التجديف لقوارب الصيد القادمة بشباكها المليئة سمكا وهما يجلسان إلى طاولة أحد مطاعم الميناء القديم المتواضعة.

ـ يبدو أننا لا نرتدى اللباس المناسب... قالها «كريس» ملاحظاً.

اومأت آنى برأسها موافقة فواقع الأمر أن القميص الأزرق

والبنطال الرمادى لأحدهما والتايور للآخر يبدو غير متناسب إطلاقاً مع التواجد بين الصيادين.

ـ ليس لهذا أية أهمية.

ـ يجب أن لا يكون هنا مكان لتناول الشراب... قالها «كريس» وهو يشير بيده إلى النادلة الوحيدة الموجودة وطلب منها كأسين من العصير.

كان هذا اليوم طويلاً جداً، هذا ما فكرت به الفتاة الشابة. إذ قرر «كريس» بعد أسبوع من العمل المتواصل قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى سان فرانسيسكو وقد أصرّ على الجولة السياحيّة، رغم مئات السائحين الموجودين فى المدينة لزيارتها.

وهكذا ما إن أعلن أمامها عن تعبه، حتى اصطحبته «آنى» إلى ميناء الصيد القديم حيث لا وجود لأى شخص.

ـ أحب هذا المكان لبساطته.

ـ أجل... رد بها «كريس» بمجاملة واضحة للفتاة.

نظرت «آنى» إليه، لتلاحظ ملامح وجهه وقد امتعضت وهو يقول:

ـ أود تحمل اتخاذك أى قرار أن أطلعك على بعض أشكال حياتى التى لا تعرفينها حتى الآن.

ـ قبل أن اتخذ قرارى؟

كانت النادلة فى تلك اللحظة قد أحضرت كأسى عصير.

فى حين أحست «آنى» فجأة بالارتعاش، رغم الحرارة من حولها. ماذا سيقول لها؟

ارتشف «كريس» رشفة من كأس العصير ثم أردف قائلاً:

ـ إنه المكان المثالى لأحدثك عن طفولتى، لأننى ولدت وترعرعت فى مكان مشابه لهذا المكان.

توقف «كريس» عن الكلام، فى حين أنصتت «آنى» إلى كلامه دون أن تبعد نظرها عنه، وهو يضيف قائلاً:

ـ أنا لم أعرف والدى ووالدتى كانت مثل عمتك «بيرتا»، تعود فى أصولها إلى وسط بورجوازى، هربت منه مع والدى، الذى انغمس فى الحرب العالمية الثانية، الذى لم يعرف معنى للحياة فى تلك الفترة، ولم يتمكن حتى من المحافظة على وظيفته فأنا أجهل تماماً كيفية وصولهما إلى «فول رايفر». وقد تخلى عن والدتى الحامل.

ها هى «كريس» تضع يدها على يده بصورة لا شعورية، فى حين اكتفى «كريس» برسم الابتسامة ومتابعة حديثه:

ـ كان مجال العمل الوحيد للمرأة آنذلك هو مصانع النسيج، حيث أصيبت بمرض فى رئتيها، سببه الوسط الذى عملت فيه. ومع ذلك ظلت تتردد على العمل فيها. حتى جاء عصر المنافسة الأجنبية وأخذت تلك المصانع تغلق الواحد تلو الآخر هنا اتجهت والدتى ـ كغيرها من الناس الذين عانوا الألم والاضطهاد والبؤس والفقر آنذلك ـ إلى الاكثار من الشرب.

ـ كان ذلك مرعباً حتماً بالنسبة لها.

ـ خاصة بالنسبة لها. فهى ـ رغم حالتها البائسة ـ تحبنى وقد حاولت عمل ما بوسعها من أجل أن تؤمن لى حياة أفضل. ولكن دون فائدة. لم يكن لديها حظ. على كل حال، قامت بإرسالى إلى المدرسة،

التى ما إن دخلتها - وأنا فى السابعة أو الثامنة من عمرى - حتى أصبحت أقوم بأعمال المنزل والمطبخ إلى جانب دراستى. لحسن الحظ أننا كنا نعيش بين مجموعة برتغالية، وبما أن الصيادين لم يكونوا أغنياء، فقد ساعدونى للمحافظة على السير فى الطريق المستقيم. كنت أقوم وأنا طفل بتقديم أعمال بسيطة لهم مثل تنظيف القوارب مقابل مبالغ زهيدة. وعندما كبرت أتاحوا أمامى المجال لمرافقتهم فى رحلات الصيد.

- هذا هو إذن سبب إصابتك؟.. سألته «آنى» وهى تشير إلى جرحه.

- أجل، كنت فى رحلة صيد عندما أصبت. وشيئاً فشيئاً تركت الخروج معهم فى البحر للصيد وبدأت بزيارة المكتبة العامة. كنت أعبد القراءة وقد حالفنى الحظ بوجود أستاذ مدرسة شجعنى على ذلك. كنت لا أتحدث إطلاقاً عن أبى، لشعورى بالخجل منه رغم أن الجميع يعرف حكايتى، حتى جاء يوم أصبت فيه بغيبوبة ووقعت فى الشارع لأنقل بعدها إلى مصح نفسى.

بدت الفتاة وقد امتلأت بالدموع. مما دفع «كريس» لرسم الابتسامة على وجهه مخففاً عنها وتابع حديثه:

- هنا بدأت الأحوال تتحسن. فقد بلغت الخامسة عشرة من العمر، وأرادت السلطات إرسالى إلى ملجأ. حتى جاءت عائلة برتغالية وتبنتنى وحصلت على منحة لمتابعة دروسى حتى نلت الشهادة الثانوية. ثم ما لبثت أن عثرت على عمل فى التجارة كرهته جداً، لكنه - بالمقابل - أتاح أمامى الفرصة لكسب ما يكفى من المال لإرسال والدتى إلى عيادة للعلاج، حيث وجدت السعادة نسبياً، وأخذت تأكل ما تريد بعد جوع

طويل، وتستمتع بمشاهدة التليفزيون. كنت أذهب لرؤيتها فى بعض الأحيان، دون أن تتعرف علىَّ أبداً.

- وهل أنت غاضب من والدتك؟

- لا أبداً، لقد فعلت ما بوسعها... مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف التى مرت بها. وإليها يعود اسمى المستعار الذى استخدمه الآن، نتيجة عادة اعتادت عائلتها اتباعها فى إعطاء اسم مستعار رومانى لكل فرد، وقد كان اسمها «أوريليا» واسم أبى «أوكتاف» وأنا «فاليريان» الامبراطور الغامض.

ساد الصمت بينهما فترة حتى قطعته «آنى» بسؤالها:

- لِمَ لم تحدثنى عن حياتك إلا الآن؟

- لا أعلم. إن عدم وجود أسرة لى مقارنة بالوسط الذى كبرت فيه يثير غضبى. وكنت أخشى أن لا يسبب ذلك لى مشكلة.

- لماذا؟

- إننى مثلها... دون أصل أو أقارب.

- لا أعلم تماماً عن أية مشكلة تتحدث.

هنا عدّل «كريس» من جلسته وشد ربطة عنقه وتنفس الصعداء ثم قال:

- لا أدرى كيف أقول لك. إنها المرة الأولى فى حياتى التى سألفظ فيها مثل هذه الكلمات... هل تتزوجيننى؟

فوجئت «آنى» تماماً بما قاله لدرجة حبست معها أنفاسها وأحست بنفسها غير قادرة على الرد.

ـ ليس لدى الكثير لأقدمه لك، باستثناء أمان الأمومة وهو ما أملكه. لن أطلب منك مغادرة سان فرانسيسكو ولكن لا شىء يمنعنى من البحث عن عمل هنا فى «بير كيلى» أو «ستانفورد». هل تتزوجين من أستاذ آداب فى «بيركيلى»؟

نظر إليها متأملاً وهى ترد بالنفى:

ـ لا؟

ـ لا. لكننى سأتزوج منك أنت.

هنا انفرجت أسارير «كريس» ثم ما لبث أن امتعض وهو يردف قائلاً:

ـ إنك لا تعرفين كل شئ، علىّ أن...

ـ أعلم أننى لا أعلم عنك كل شئ. ولكن ذلك سيأتى مع الوقت، ثق أنه سخاء سيجعلنى أغيّر رأيى.

ـ ولكن...

أمسكت «آنى» بيديه بين يديها ونظرت إليه قائلة:

ـ كريستوفر فيلدس، أحبك.

ابتسم «كريس» مسروراً وهو يقبلها ثم نهض قائلاً:

ـ سيداتى وسادتى، لدى خبر هام سأعلنه أمامكم. لقد وافقت هذه الفتاة الساحرة على الزواج منى.

دوّى التصفيق فى المكان.

الفصل الثانى عشر

كانت أيام الأسابيع خلال فترة الصيف تمضى ببطء ممل، فى حين تأتى عطلة نهايات الأسبوع لتمضى بسرعة كبيرة.

طلاب «آنى» يتقدمون فى دراستهم، بل ولمع اثنان منهم بدرجة فائقة، دون تركيزها على التدريس بحد ذاته، باعتبار أن «كريس» يشغل تفكيرها إلى أبعد الحدود.

كان «كريس» دائم الاتصال بها كل مساء ليخبرها عن تطور الأحداث فى روايته ثم ما إن تأتى عطلة نهاية الأسبوع حتى يقرأ عليها آخر الفصول التى كتبها، مما جعلها تشير عليه الالتفات إلى الكتابة يومى السبت والأحد أيضاً، لكنه رفض مؤكداً تخصيصه هذين اليومين للراحة.

غالباً ما كان الاثنان يلجآن إلى النزهات سيراً على الأقدام عندما يكون الطقس جيداً للتعرف على جميع الأماكن وزيارتها. وهذا ما دفع «آنى» لاصطحابه إلى المنارة، حيث قام الاثنان بتسلق أربعمائة درجة لتأمل منظر المحيط من هناك وهو يلطم الصخور. كما ذهب الاثنان فى زيارة إلى «دراك بيتش»، حيث غرقت سفينة «الغاليون» التجارية الأسبانية عام ١٥٩٥، دون أن ينسيا طبعاً التنزه لفترات طويلة على طول الشواطئ، يجمعان الأصداف وبعض القطع الخشبية المزينة

www.elromancia.com

الجميلة التى يرميها البحر.

كانت «آنى» تلاحظ دوماً ـ أثناء سيرها على الشاطئ وتحدثها معه عن الأشياء التى يرونها ـ أنه لا يتأمل أحداً غيرها ولا يُبعد نظره عنها.

ـ إنك لا تنتبه لما أقوله.

ـ لا، أحب أن أرى نسمات الهواء وهى تداعب خصلات شعرك، أعشق تعبير نظرتك، وهى تتابع حركة طير أو جمال زهرة. إنك طفلة المحيط.

كان الاثنان يعودان إلى المنزل متعبين، ليقوما إما بتحضير العشاء أو بتناول وجبة فى مطعم «ديمترى». يجلسان بعدها قرب الموقد وهما يحتسيان الشاى أو القهوة.

إنه حلم يعيشه الاثنان دون التطرق إطلاقاً إلى المستقبل باستثناء الحديث عن الكتاب الذى يُنتظر صدوره مع نهاية شهر آب. والاكتفاء فقط بالتمتع باللحظة التى يعيشانها. حتى جاء قرارهما بالابتعاد الاضطرارى عن بعضهما البعض، لأن على «كريس» العودة إلى «المعهد الملكى» من أجل عمله التدريس خلال العام الدراسى القادم، وعلى «آنى» الذهاب إلى عملها فى «سان فرانسيسكو».

ربما يصبح بالامكان حل مثل هذه المشاكل بعد زواجهما. هذا ما قرره الاثنان.

بيد أن مشكلة اعترضت «آنى» وأثارت قلقها، وهى ضرورة تقديمها «كريس» لعائلتها، التى لم تكن ـ حتى الآن ـ تدرى شيئاً عن علاقتهما.

فقد رأت «آنى» من غير المستحسن الاتصال بعائلتها وإعلان خبر

زواجها من مستأجر المنزل.

ها هو الهاتف يرن فى أمسية أحد أيام الجمعة. لا يمكن أن يكون على الطرف الآخر لأنه سبق واتصل بعد ظهر هذا اليوم بها.

إنه «شارلى» بالتأكيد... هذا ما فكرت فيه «آنى» وهى تتجه إلى الهاتف تاركة الوظائف التى تصححها. جاء الصوت من الطرف الآخر مع رفعها السماعة يقول:

ـ صباح الخير، كيف حالك؟... إنه هو.

ـ جيدة وأنت؟.. ردت «آنى».

ـ لدى معلومات عن المستأجر. لو كنت مكانك لطردته مباشرة من المنزل. لم تكن المرة الأولى التى يهاجم فيها «شارلى» كريس أمام الفتاة.

ـ اسمع، إنه ليس بتاجر مخدرات، لقد أخبرنى بالحقيقة، وأقسم لك أنه «فاليريان».

ـ هل حدثتك عن جارتى «مارلين»؟

ـ أجل، فى بعض الأحيان.

ـ إنها تدرس لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب فى «هارفارد». وقد قرأت فكرة «فيلدس» عن «اوشاوكنيس»، يبدو أنه «بروست» الأمريكى. وقد فقد واحداً من تلك المخطوطات، ومازال البحث قائماً عنه.

ـ عذراً، ولكن لايزال أمامى مجموعة من الدفاتر الواجب تصحيحها، إضافة إلى أن مزاجى ليس على ما يرام لسماع درس فى الآداب إلى أين تريد الوصول إذن؟

ـ لا أهمية لكل ما تقولينه فأنت حرقتِ جميع أوراق العمة «بيرتا». أما تتمه القصة فتتحدث عن قيام هذا الكاتب بتأليف آخر رواياته فى باريس، وقد قتل أثناء دخول الألمان إلى باريز، ومن المؤكد أنه أعطى مخطوطه لأحد يثق به.

ـ ما الذى تود قوله؟

ـ من المحتمل أن «بيرتالاف» صديقته أخذته منه. ألا تجدين أنه من المستغرب جداً وجود «فيلدس» هنا وقدومه إلى «انفيرنيس» أليس من المؤكد أنه علم بطريقة أو بأخرى أن العمة «بيرتا» أرسلت بجميع أوراقها إلى عائلتها؟

هنا أحست «آنى» باحتباس الكلمات فى حنجرتها وهى ترد بالقول:

ـ شكراً على اتصالك، على أن أتركك الآن لوجود ماء يغلى على النار إلى اللقاء.

ها هى قطع اللغز تتجمع كاملة... هذا ما فكرت فيه «آنى» أثناء قيادتها السيارة متجهة إلى «انفيرنيس» وسيتضح أمامها صباح الغد كل شئ، السبب الذى من أجله قطع «كريس» أراضى الولايات المتحدة الأمريكية لاستئجار هذا المنزل بالذات، وتحفظه منذ اليوم الأول لمجيئه فى تفسير نشاطاته واهتمامه بتاريخ عائلتها.

لِمَ حاول لفت نظرها ولِمَ عمل على إيقاعها فى حبه؟ ثم لِمَ طلب منها الزواج؟ فجأة بدأت الحقيقة تتضح أمامها. فهو فى حال وجد المخطوط، لا يمكنه عمل أى شىء، لأنه يخص «آنى»، وذلك وفق ما جاء فى عبارات الوصية. ترى هل كانت له مصلحة فى ذلك؟

من المؤكد أنه أعاد وضع المخطوط فى مكانه. فهى لاتزال تذكر

تلك الأمسية التى بدأت خلالها حرق الأوراق، وإصرار «كريس» حينها على تأجيل الموضوع إلى الأسبوع التالى. ربما أنه طلب ذلك ليتمكن من دخول الغرفة وترتيبها.

أبطأت «آنى» سير سيارتها لتجد نفسها وسط الطريق. كانت السماء رمادية وملبدة بالغيوم، قليل من الناس يتجولون على الشواطئ، لهبوب هواء عاصف وبارد، يدفع الأمواج إلى الشاطئ، لتحمل الوحل والرمال إليه. ما إن وصلت إلى المنزل، حتى لاحظت وجود سيارة «كريس» أمامه لحسن الحظ كان الباب مفتوحاً، لتدخل مباشرة إلى الصالون. ألسنة النار فى الموقد ملتهبة، والآلة الكاتبة متواجدة قربها كان ذلك يشابه زيارتها الأولى، بخلاف شئ واحد فقط، وجود مجموعة من أوراق الآلة الكاتبة مبعثرة بجانبها.

ـ ترى أين أخفى المخطوط؟... تساءلت «آنى» وترددت بعدها لحظة، ثم فكرت بضرورة التصرف بأسرع وقت ممكن، فربما يدخل «كريس» بين لحظة وأخرى، هنا قررت البدء بتفتيش غرفته.

سارعت «آنى» إلى صعود الطابق الأول من المنزل وفتحت الباب. كانت الغرفة مرتبة بعناية فائقة: السرير، والكتابان الموضوعان على الطاولة. توجهت «آنى» إلى خزانته الصغيرة، لتجد فى الدرج العلوى الكلسات والثياب الداخلية مرتبة تماماً، فى حين عثرت فى الدرج الثانى على قمصانه وكنزاته. وفى الثالث... وجدت نفسها أمام المخطوط!

فوجئت «آنى» بالمخطوط دون غلاف خارجى، وبأوراقه الصفراء التى تشير إلى قدمه، كما تنبهت إلى وجود عدد من الأوراق تم تمزيقها

www.elromancia.com

أو حرقها بالسجائر، إضافة إلى عدد من الملاحظات كتبت على الهوامش. بدا لها الخط فيها معروفاً لديها.

نزلت «آنى» من الغرفة والمخطوط بين يديها وجلست أمام الموقد لتقليب صفحاته الواحدة بعد الأخرى وحرقها. السيد «اوشاوكنيسى» لم يكن دقيق التفاصيل. ما إن وصلت إلى الصفحة ١٩١، حتى وصل «كريس» حاملاً حقيبة بين ذراعيه وقال مستغرباً:

- عزيزتى، يبدو أنك وصلت فى ساعة مبكرة، أنا ذهبت لشراء... ولكن... ماذا تفعلين؟

- أحرق مخطوط «اوشاوكنيسى»، وإذا كان لدى الوقت، سأفعل نفس الشئ مع مخطوط «فاليريان».

قالت «آنى» جملتها ونهضت من مكانها. فى حين بدا «كريس» هادئاً ولم يأت بأية حركة وهى تمر من أمامه متوجهة خارج المنزل، مباشرة إلى سيارتها راكضة. واكتفى بالقول صارخاً:

- انتظرى!، إنك لا تعرفين شيئاً، هذه كانت....

حاولت «آنى» استجماع قوتها وشجاعتها للتوقف ومواجهته، ولتتأمل - لآخر مرة - منكبيه العريضين وشعره الكستنائى وعينيه الزرقاوين

- أصارحك القول يا عزيزى إن أكاذيبك لا تهمنى.

قالتها «آنى» بصوت مرتفع، توجهت بعدها إلى السيارة لتجلس خلف المقود وتنطلق مبتعدة.

الفصل الثالث عشر

جاءت سيارة «كريس» وتوقفت بجانب سيارتها لتمنعها من الخروج، مما اضطر «آنى» للميل جانباً واصطدام باب سيارتها بشجرة. ومع ذلك، سارعت بالسير، عندما أتيحت لها الفرصة، تاركة الشجرة تطرق سيارتها.

لكنها توقفت فجأة متعبة، مع خروجها من «انفيرنيس»، وهى تحس بالاحباط الشديد، لدرجة لم يعد بامكانها متابعة الطريق إلى سان فرانسيسكو ولكن أين تذهب؟ لعند «ديمترى»؟ لا، ربما تقابل «كريس» هناك. إلى المنارة، إلى «درابيتش»، إلى «وايلدكاب». لا، هذه الأماكن جميعاً تذكرها بنزهاتهما معاً، وتلك الذكريات التى لا تحتمل.

ما هو المكان الذى لم يذهبا إليه حتى الآن؟

شاطئ رأس «بيرس» الصغير! لا أحد يذهب إليه لاختبائه وسط الأشجار، والدرج الطويل الواجب صعوده للوصول إليه.

لحسن الحظ، فقد وجدت فى صندوق السيارة مؤونة وماء، وباعتبار أنها ترتدى منذ الصباح بنطالها الجينز وقميصا قطنيًا وحذاء التنس، فهذا يعنى أن أمورها مهيئة تماماً لتلك الرحلة.

اتخذت «آنى» طريقها إلى الرأس بالسيارة، التى نزلت منها مباشرة

www.elromancia.com

عند ظهور الرأس لنظرها وبدأت بالسير على قدميها، وسط الصخور والرمال.

فجأة وجدت نفسها فى الأعلى مطلّة على الساحل ومياه البحر، التى كانت هائجة، لدرجة تلاطمها على حاجز الصخور السوداء. وقد انتشرت الطيور على كبرى تلك الصخور، لتتخذ منها مستقراً دائماً. فى حين بدا لها المحيط لا نهائيا من خلال انخفاض السماء على مياهه، إنه نهاية العالم.

هنا بدأت الدموع تنذرف من عينيها، وتسيل على وجنتيها حارقة.

تمددت «آنى» على الرمال المبللة وهى تخفى وجهها بين ذراعيها تاركة دموعها مستمرة فى الانهمار، ونفسها تستسلم إلى النوم، دون انتباه.

ولكن ها هى موجة مياه باردة تلامس كوعها وتوقظها من نومها. نهضت من مكانها وابتعدت قليلاً عن الأمواج لتتأملها من بعيد وهى تزداد قوة، لدرجة لا يمكن تخيلها، مما جعل «آنى» تبتل دوماً بالمياه المالحة. كان ذلك الصراع بين المحيط والأرض يثير اهتمامها. فالصخور ستقاوم بالتأكيد على مدى قرون، لكنها ما تلبث أن تنحت وتفتت بتأثير عامل البحر!

فجأة انحبس الريق فى حلق «آنى» لدى رؤيتها شبح «كريس» يلوح لها من بعيد وهو يصعد الدرج، ويقطع عدة أمتار على الشاطئ، متوجها بعدها إلى الصخرة.

ظلت «آنى» جامدة فى مكانها بلا حراك وكأنها لم تر شيئاً.

ما إن تقدم منها حتى بادر إلى القول:

- قبل أن تذهبى، يجب أن أتحدث إليك.

- ليس هناك ما نتحدث به. كيف عثرت علىّ؟

قالت «آنى» كلماتها وعضت على شفتيها نادمة على سؤالها. فهذا كفيل بإعطائه الفرصة لمتابعة حديثه.

- سألت «ديمترى» رآك تتجهين إلى رأس «بيرس»، وقد تأكدت تقريباً من وجودك هنا باعتبار أنك غالباً ما كنت تتحدثين عنه.

- كيف عرفت طريق النزول.

- سبق وجئت إلى هنا.

بهذا يكون «كريس» قد باح بآخر سر لديه!

- ألا يمكنك أن تتركنى بهدوء؟ ألم يكفك الألم الذى سببته لى؟ لقد حصلت على ما تريد، من خلال المخطوط. والآن ماذا تريد؟

توقفت «آنى» عن الكلام، وهى تحس بصوتها يرتجف، خشية انفجارها بالبكاء:

- لدى الحق بتفسير ما يحدث، لهذا بحثت عنك ولحقت بك... قالها «كريس» بهدوء.

نظرت «آنى» إلى ساعتها وقالت:

- أعطيك خمس دقائق فقط.

- اتفقنا. ولكن تذكرى، إننى حاولت التحدث إليك عندما كنا معاً فى مطعم الميناء. وقد رفضت الإصغاء لى وقلت...

- أتذكر كلامك كنت متأكدة أن لا شئ يمكنه أن يغيّر رأيى بالنسبة لك لأننى كنت أجهل آنذاك كذبك. حتى جاءت «مارلين» - صديقة

www.elromancia.com

شارلى الصغيرة لتكشف لى الحقيقة، باعتبارها تتابع دراسة الدكتوراة فى «هارفارد» وقراءة فكرتك عن «اوشاوكنيسى».

- واقع الأمر أن نشاطى هنا كان مضاعف الهدف. فأنا أرغب من جهة زيارة «كاليفورنيا» للتعرف على مناطق أحداث رواياتى، ومن جهة أخرى لمعرفة فيما إذا احتفظت العمة «بيرتا» بذلك المخطوط الشهير.

ها هى موجة أخرى أكثر قوة ترتطم بالصخرة، وتبلل «كريس» حتى ركبتيه، مما رسم ابتسامة لطيفة على شفتى الفتاة الشابة.

- لم أكن أعرفك آنذاك، ولكن ما إن أخذتنى لزيارة المنزل، حتى أحسست بضرورة التراجع والعودة بعد التنازل عن الهدفين اللذين جئت من أجلهما.

لكنى غيَّرت رأيى لسببين، أولهما أن ذلك المنزل أعجبنى وثانيهما إعلامى أن عليك حرق جميع أوراق العمة «بيرتا»، هنا لم يعد هناك أية طريقة لنشر ذلك المخطوط عندئذ شعرت أن ارتياح الضمير لن يكون إلا باستئجارى الفيللا.

انفجرت «آنى» ضاحكة مع سماعها تلك الكلمات، وقالت بأعلى صوتها ليسمعها مع ضجيج الأمواج:

- إذن ماذا يفعل هذا فى خزانتك؟

- إنه ليس المخطوط. لقد أخبرتك بذلك الآن. فكرت «آنى» قليلاً. وانتبهت إلى أنها لم تنتبه لكلماته فى خضم اضطرابها لذا وجدت نفسها تحاول تذكر ما حدث وما قيل.

- ما هو إذن؟

- سأخبرك. لم يكن المنزل وحده هو الذى أثار فضولى، بل أنت أيضاً. لقد أعجبت بك منذ اللحظة الأولى التى رأيتك فيها وأنت تعبثين بأوراقى للتأكد فيما إذا كنت إرهابياً أم تاجر أسلحة...

- أو سارق.

- واقع الأمر أننى وقعت فى حبك منذ تلك اللحظة.

- عندما كنت مغطاة بالرماد!. لن تجعلنى أصدق هذا. ولنعد إلى حديثنا. كيف عرفت أن ذلك المخطوط الشهير كان هنا؟. الكل يبحث عنه منذ سنوات عديدة. كيف حدث أن أحداً لم يفكر فيه قبلك؟

- ذهبت الصيف الماضى إلى باريس، وقمت بالبحث جيداً واقع الأمر، أننى قمت ـ وأنا أعمل بمجال الدراسة ـ بشراء حواسب وبرامج لجميع المكاتب والجامعات الأمريكية والأوروبية. وقد حافظت ـ منذ تلك الفترة ـ على علاقاتى مع فرنسا والفرنسيين الذين استطعت عن طريقهم إعادة تأليف حياة العمة «بيرتالاف». وعثرت على خادمتها المسنة فى أحد بيوت مأوى العجزة.

أحسنت «آنى» بانتباهها إلى حديثه رغماً عنها والاصغاء إلى ما يقول:

- من هنا علمت منها أن العمة كانت ترسل شهرياً طروداً إلى عائلتها، لكنها لا تذكر العنوان. بحثت حتى تمكنت عن طريق بعض الأصدقاء، من الوصول إلى موظفى البريد القريبين من مكان إقامتها آنذاك، وعثرت على أحدهم، ظل يعمل فى تلك المنطقة ما يقارب الخمس سنوات. تذكر العمة التى كانت تزوره شهرياً ومعها كرتونة حذاء تحوى بعض الأغراض ترسلها إلى «انفيرنيس» فى كاليفورنيا.

ارتسمت الابتسامة على وجه «كريس» وهو يتذكر تلك الحادثة:

www.elromancia.com

- كانت عمتك شخصية غريبة، وقد حدثنى هذا الرجل قصصاً وحكايات عن ترددها إلى البريد بعد ظهر كل يوم.

نظر «كريس» إلى «آنى» بطرف عينه التى بدت غير مبالية بكل ما يحدث.

- والتتمه تبدو لعب أطفال. علمت أن ملكية المنزل انتقلت لـ «آنى» اليزابيث وايت. هل أصبح كل شئ واضحاً أمامك؟

أومأت «آنى» برأسها وردت بالقول:

- لا، أنا أجهل تماماً كيفية دخولك إلى منزل العمة «بيرتا» وسبب حصولك على المخطوط؟

- أعلم أنه ليس من حقى، لكننى كنت فضولياً لمعرفة كل شئ، خاصة بعدما أخبرتنى به. إذ لاحظت عند دخولى المنزل وجود عدد من العلب الكرتونية المفتوحة. ويعلوها المخطوط الذى قمت بحرقه.

- ألم تبحث عن مخطوط «اوشاوكنيسى»؟

- بصراحة، سبق وأقسمت على التنازل عن مشروعى، تذكرى ذلك.

- بيد أنك أفسحت المجال أمامى لحفظ أوراق عمتى الشخصية، دون التحدث معى فى هذا الموضوع.

- لأن لها فائدة... خاصة.

- ربما يتيح ذلك أمامك المجال للشهرة، أمام الأساتذة أمثالك، وفى عملك الجامعى. يا لخسارة حرق تلك الأوراق، أليس كذلك؟

- أجل نوعاً ما، كما من المؤسف أيضاً أن... على كل حال، فهذا لا يمثل شيئاً بالنسبة لطموح شخصى، ولكن ربما يلقى هذا الكتاب الضوء من جديد على فترة كاملة من أدبنا.

- ها هى موجة عالية وقوية ترتفع من جديد لتلامس وجه «آنى» وهى تتكلم، مما أوقعها أرضاً.

نهضت «آنى» من على الأرض وبدأت صعود الدرجات دون التحدث مع «كريس» الذى ظل يتابعها.

ما إن وصل الاثنان إلى القمة، حتى التفتت الفتاة الشابة نحوه قائلة:

- علمت ما يكفى حتى الآن، وسأعود إلى سان فرانسيسكو ولا تنتظر أبداً منى الحديث عن نفسى، ولكن لايزال لدى سؤال: لمن كان ذلك المخطوط؟

- لعمتك «بيرتا»؟

- ماذا؟.. قالتها «آنى» مستغربة.

- هذا النص جعلها مشهورة. كان رائعاً، بل ويفوق كل ماكتبة «اوشاوكنيسى» وهو يقدم تأثيرها على جميع أدباء تلك الفترة، لدرجة أن الانتقادات التى وُجهت إليها باعتبارها كاتبة عادية، عادت وغيَّرت من قرارها ذلك.

- لكننى قرأت رواية سبق ونشرتها، كانت سيئة جداً فى رأى الجميع.

- لم يكن ذلك أسلوبها، وقد كتبتها فى بداية حياتها، إذ ما لبث أسلوبها فى الكتابة أن نضج...

- وذلك الذى قرأته...

- كان رائعاً. لكنه ليس الأهم، لو استطعت إنقاذه من ألسنة النيران، فقط لأريك إياه ولأجعلك تغيرين رأيك وتتخذين قرارك.

- أى قرار؟

- نشره والوقوف فى وجه وصيتها .

- وربح الكثير من المال... قالتها «آنى» بلهجة احتقار .

- لا، لن تكون تلك من المختارات العالمية . إنها ليست مسألة مادية، بل معنوية .

- ليس أنت من يتحدث عن المعنوية .

تجاهل «كريس» ملاحظتها وتابع حديثه بالقول:

- المشكلة التى يجب حلها لم تتضح بعد . فأنت إما أن تحترمى رغبة عمتك وتحرقى المخطوط أو تقومى بنشره وإعطائه المكانة التى يستحقها بين الكتب ووسط تاريخ الأدب المعاصر. الاختيار لا يخصنى، لكننى واثق تماماً من أن العمة «بيرتا» كانت تستحق أن نعمل لها ما هو أفضل.

فكرت «آنى» لحظة قبل أن ترد قائلة:

- فات الأوان، لقد أصبحت رماداً... وبعد تأخر عشر سنوات.

قالت كلماتها وتابعت سيرها، ثم ما لبثت أن التفتت وراءها للمرة الأخيرة لتسأله:

- شىء أخير، مخطوطة «اوشاوكتيسى» تلك، هل كانت من تأليفها؟

- لا أحد يعلم شيئاً عن هذا الموضوع.

تفوهت «آنى» بكلماتها وابتعدت عن «كريس» تاركة إياه ثابتاً فى مكانه بمواجهة المحيط.

أحبك، كان يرددها الصوت الصادر عن المذياع، بينما كانت «إيف»

تدخل عائدة من فترة إقامة أمضتها فى جزر «فارالون» بدت مسمرة من الشمس ومرتاحة تماماً عكس «آنى». التى ظلت تنصت إليها وهى تتحدث قائلة:

- الشواطئ بدت رائعة، وهو ما أبحث عنه... قالتها «إيف» وفرشاة الأسنان بين يديها ثم ما لبثت أن رمتها فى سلة المهملات، بدأت بعدها تعيد ترتيب ملابسها .

- والآن بعد أن انتهيت من دروسك وعودتك إلى هنا، ماذا ستفعلين هل ستقضين أيامك فى «انفيرنيس» برفقة الرجل الرومانسى؟

حاولت «آنى» التهرب من السؤال، لعدم رغبتها التطرق إلى هذا الموضوع.

المذياع يعلن: «لا تنسوا أوركسترا «رولينغ ستون» فى الثامن من شهر أيلول، لقد تم طرح التذلكر للبيع».

اقترحت «إيف» قائلة: سنذهب، ربما تكون تلك آخر حفلاتهم، لا أريد إضاعة هذه الفرصة لأى سبب كان.

أومأت «آنى» برأسها، فى حين لاتزال «إيف» تعيد ترتيب أغراضها ووضعها فى الخزانة . التفتت بعدها فجأة إلى صديقتها لتلاحظ تقطيب حاجبيها وتضايقها:

- يبدو أنك لا تريدين الذهاب مزاجك على غير ما يرام. ووجهك معكر.

- حقاً؟

نهضت «آنى» من مكانها لتتأمل نفسها فى المرآة. كانت عيناها ذابلتين، تحيط بهما هالة سوداء، وشعرها جافا وملامحها كئيبة.

- أحس إصابتى بنزلة برد .

www.elromancia.com

ـ لدى ما هو جيد ومفيد لك. الشاى بالنعناع، فى حال أنه لايزال هناك شاى.

ـ لم ألمسه فى غيابك.

ـ ابق فى مكانك، سأحضره لك بنفسى، سترين إنه علاج ناجع.

توجهت «إيف» إلى المطبخ مباشرة، فى حين تمددت «آنى» إلى السرير، وهى تحس بنجاحها ـ حتى هذه اللحظة ـ فى تخطى أزمتها من خلال انهماكها بالعمل المستمر. فقد جاءت دروسها لتتيح المجال أمامها فى عدم التفكير بما حدث. وها هى الآن تريد البقاء وحدها للانفراد بنفسها، والتوجه إلى «انفيرنيس» حتى موعد افتتاح المدارس. لكن حدوث ذلك بات مستحيلاً باعتبار أنه لايزال هناك. رأت من المفروض أن تصرح لـ «إيف» عن حماقتها، ولحسن الحظ أنها لم تكن على اطلاع على مشاريع زواجهما، ومن الصعوبة جداً. أن تروى لها ما حدث. وهى تتخيل تماماً ردة فعل صديقتها. لذا وجدت نفسها تلخص موضوعها مؤكدة:

ـ لقد سبق وأخبرتك.

العاصفة تقترب وها هى «آنى» تنتظر بتفهم عودة صديقتها.

ها هو صوت جرس الباب يرن، توجهت «إيف» نحوه لتفتح فى حين نظرت «آنى» إلى ساعتها وهى تشير إلى الخامسة، ربما يكون ساعى بريد المساء.

ـ إنه كريس.. قالتها صديقتها وهى عائدة إلى غرفة النوم.

نهضت «آنى» من مكانها، و «إيف» تتابع كلامها:

ـ هو أيضاً يبدو على ما يرام. أخبرنى أنه مصاب بنزلة برد.

سارعت «آنى» إلى الحمام، إذ لم يكن لديها أدنى فكرة عن زيارته تلك، ومع ذلك لا ترغب فى أن يراها مضطربة وغير مرتبة، لذا ما كان منها إلا وضع قليل من حمرة الخدود، أعادت اللون إليها، وأخذت تمشط خصلات شعرها وتتأمل هندامها، ببنطالها الأسود وقميصها الأبيض لترى نفسها وكأنها طالبة مدرسة. ليكن، فهى لم يعد لديها الوقت لتغيير شىء.

تنفست «آنى» الصعداء لتحس بالهدوء وببرودة الأعصاب وهى تتجه إلى الصالون. فى حين نهض كريس من مكانه على الأريكة. ووقف أمامها ببدلته السوداء التى تعكس شحوب وجهه، ونحف جسمه وبعض التجاعيد الصغيرة عند زوايا شفتيه لتعكس تعبه.

كانت نبضات قلب «آنى» تزداد مع اقترابها منه مما دفعها لتركه يتحدث أولاً.

ـ جئت لأعطيك مفاتيح المنزل. فأنا ذاهب هذا المساء كل شىء على ما يرام، وإذا وجدت أية مشكلة، يمكنك الاتصال بى فلديك عنوانى.

ـ هل انتهيت من تأليف كتابك؟.. قالتها «آنى» بلطف وهى تأخذ المفاتيح.

ـ أجل لكننى لم أصل بعد إلى إيجاد الخاتمة... لم أستطع كتابتها.

ـ ألا تعرف حتى الآن النهاية؟

ـ لم أكن أعرفها مقدماً. سأرسل لك نسخة منه، وستكون الوحيدة فى العالم.

www.elromancia.com

- شكراً.

ساد الصمت بينهما فترة ليقطعه كريس بعدها بالقول:

- حسناً، سأعيد السيارة إلى مكتب التأجير.

رافقته آنى إلى الباب والتفت إليها، ونظرت فى عينيه الزرقاوين لدقيقة بدت لها لن تنتهى فى حين بادر إلى القول بهدوء:

- إلى اللقاء.

- إلى اللقاء. نجحت فى قولها رغم انحباس الكلمات فى حلقها.

توجه «كريس» خارج المنزل فى حين عادت «آنى» إلى الصالون.

ها هى «إيف» تصل بصينية الشاى.

- ماذا حدث؟، كان «كريس» يريد احتساء فنجان من الشاى و...

هنا سمعت صوت إغلاق باب السيارة، ونهضت «آنى» من مكانها فجأة.

- سأشرح لك الأمر، ولكن ليس لدى وقت. فـ «سانت كروا» لاتزال فى صندوق سيارته... قالتها «آنى» وهى تسارع مهرولة إلى الخارج.

كانت السيارة ابتعدت، ولحسن الحظ أن إشارة المرور فى آخر الشارع أضاءت اللون الأحمر، مما جعل «كريس» يلاحظ إشاراتها.

توقف فى مكانه وفتح زجاج النافذة، ليسمع صوت «آنى» وهى تقول لاهثة:

- اللوحة.

ارتسمت علائم خيبة الأمل على وجهه دون أن يحس، ورد بالقول والابتسامة على وجهه:

- معك حق، لقد نسيتها. أمر سخيف، سبق واتهمتنى بالسرقة وها أنذا...

- لم أتهمك إطلاقاً بالسرقة.

- «آنى» لدى ما أقوله لك.

مع هذه الكلمات ارتفعت أصوات زمامير السيارات مما دفعه ليأمرها قائلاً:

- اصعدى.

وجدت «آنى» نفسها تنفذ كلامه دون تفكير.

- لايزال لدى ساعتان يمكننا تناول العشاء معاً أو القهوة؟

- لست جائعة، ولكن هناك محلا يصنع كابوتشينو لذيذة. إلى اليسار. هناك وجد «كريس» صعوبة كبيرة فى إيقاف سيارته باعتبار الشارع تجاريا. مما اضطرهما لتجاوز العديد من المخازن وصالات العرض الفنية ودخولهما بعد ذلك إلى كافتيريا متواضعة، حيث اختار «كريس» طاولة قريبة من النافذة ليجلسا إليها. طلب بعدها فنجانين من القهوة الايطالية وتوجه بالسؤال إلى «آنى» بلهجة من عثر على صديقه صدفة:

- كيف حالك؟

- جيدة، شكراً.

ها هى النادلة تأتى بالطلب وتبدأ «آنى» بارتشاف قهوتها الساخنة المغطاة بالكريمة. ما إن رفعت رأسها حتى وجدت «كريس» ينظر إليها بابتسامة بسيطة بادرته بالسؤال:

www.elromancia.com

ـ ما المسلى فى الأمر؟

مدّ «كريس» ذراعيه نحوها ـ عوضاً عن الرد ـ وأمسك ذقنها بيده بينما حاول باليد الأخرى مسح شفتها العليا . وقال مفسراً :

ـ لديك شارب؟

كانت تلك الحركة البسيطة كفيلة بقلب كيانها رأساً على عقب، مما اضطرها إلى إدارة رأسها باتجاه الشابين الجالسين إلى الطاولة المجاورة لهما حتى لا ينتبها إليها، ومع ذلك لاحظ أحد الشابين ما حدث. انتقلت «آنى» بعدها إلى قراءة إعلان يتحدث عن شاطئ صغير يضم بيوتًا بيضاء اللون للاستجمام.

هنا تدخل «كريس» قائلاً:

ـ لا يمكننى الذهاب دون أن تعلمى أمراً هاماً.

كانت آنى قد بدأت مع تفوهه بتلك الكلمات بدراسة جزيرة تائهة فى بحر أزرق هى «كابرى» فى حين تابع «كريس» حديثه:

ـ أحبك وسأظل أحبك.

ترى هل تحلم؟، نظرت إلى عينيه لتقرأ فيهما التأكيد على ما سمعت، وعندئذ أحست بسعادة كبيرة.

ـ هذا «داويت راينولدس»... صاح بها أحدهم داخل الصالة.

ـ أين؟

ما هى إلا لحظة حتى كان الزبائن يحيطون بالطاولة المجاورة.

ـ دوايت، هل توقع لى على الأوتوغراف؟.. طلب إليه أحد المعجبين.

ـ سيتم ترشيحك إلى النهائيات، أليس كذلك؟.. سأله معجب آخر.

استطاعت «آنى» من خلال ما يدور حولها استنتاج أن الشاب هو لاعب بيسبول شهير. يا للمسكين، يبدو فى حال سيئة.

سألها «كريس»:

ـ أين بإمكاننا أن نكون فى مكان أكثر هدوءاً؟

ردت «آنى»:

ـ فى «انفيرنيس».

ـ فكرة رائعة.

ما إن وصل الاثنان إلى جسر البوابة الذهبية، حتى وضعت «آنى» يدها على جبهتها وقالت:

ـ على المرور إلى المنزل. إذ لا ملابس معى ولا مال ولا حتى المفاتيح، كما يجب إخبار «إيف».

ـ يمكنك الاتصال بها هاتفياً، أما بالنسبة للمفاتيح فلست بحاجة إليها والملابس... غير ضرورية من الآن فصاعداً.

ـ حسناً... قالتها «آنى» فرحة.

توقف الاثنان فى الطريق لشراء بعض المواد التموينية، فى حين توجهت «آنى» إلى غرفة هاتف عموم للاتصال:

ـ «إيف» هذا أنا.

ـ أين أنت؟ ذهبت راكضة، ولم أفهم شيئاً.

ـ أنا فى «انفيرنيس»، ولن أعود إلى المنزل هذا المساء.

www.elromancia.com

- إذن متى ستعودين؟

- بعد خمسة عشر يوماً.

- لكنك لم تأخذى معك شيئاً. أعتقد أنك تعرفين تماماً ما تقومين به.

- تماماً، لا تقلقى فى حال اتصل شارلى بك أخبريه الحقيقة، وأخبريه أننى سأتصل به عند عودتى.

قالت جملتها الأخيرة وأغلقت السماعة لقطع أى احتجاج يصدر عن صديقتها.

استعانت «آنى» لدخول المنزل بالممر السرى المعتاد، إذ دخلته وجاءت بعدها لتفتح الباب لكريس، قام الاثنان باشعال الموقد ووضعا اسطوانة الموسيقا، ثم تمددا على الأريكة بجانب بعضهما البعض.

مرت فترة طويلة دون أن ينبسا ببنة شفة. حتى بادرت «آنى» إلى قطع ذلك الصمت السائد بقولها:

- «رينولدس» المسكين، الآن فقط أدركت معنى استخدام «ڤاليريان» اسماً مستعاراً ومحاولة حفاظه على هذا السر.

هنا اقترب «كريس» منها ليطبع قبلة على خدها، وقال:

- الاثنان سيكونان فى طى النسيان بعد عدة سنوات.

- على كل حال، فإننى مسرورة سعيدة لعدم معرفتى محتوى المخطوط، إذ لو عرفت أنه سيجعل من عمتى «بيرتا» امرأة مشهورة، لترددت فى حرقه طيلة حياتى.

- تماماً كما ترددت فى الزواج منى!

- هذا ليس صحيحاً. ثق أنه ما إن اقتنعت بحبك تماماً حتى اتخذت قرارى.

- ومع ذلك ترددت مرتين.

- هذا يعود إلى فكرى العلمى، إلى أن التجربة يجب أن تُكرر مرتين قبل كتابة نتيجتها.

تنفس «كريس» الصعداء وأحاط قدها بذراعه. وهو يردف قائلاً:

- أجل، إذ سيكون هذا هو الحال بالنسبة لرواية العمة «بيرتا».

- ماذا!

- هناك نسخة ثانية من روايتها، وقد وضعته فى غرفة نومها لتتمكنى من العثور عليه خلال السنوات القادمة وتتخذى القرار فى مصيره.

- أوه، لا!

- لا تفكرى كثيراً بهذا الأمر الآن.

تفوه «كريس» بجملته واحتضن «آنى» بين ذراعيه وغرق الاثنان فى بحر من الحب والعواطف.

www.elromancia.com